ما بينَ المَشاعِرِ و الأحاسيس

الكتـــــــــــــــاب: ما بين المشاعر والأحاسيس

المـــــؤلـــــــــف: أحمد الشيخ

صورة الغلاف رسم : جودت نايف سليم الزعبى

تصميم الغـــــــلاف: Hero

المراجعـة اللغوية: MK

رقـــم الإيـــــــداع: 2019/26582

الترقيم الدولى: 978-977-6765-32-5

الإخـراج الفنـــــي: MK

المدير العام: محمد عبدالعال قاسم

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 6ش احمد عبد الرحيم - الملك فيصل -جيزة موبايل: 01003002847

البريد الإلكترونيmkbookstor@gmail .:

ما بينَ المشاعرِ و الأحاسيس

أحمد الشيخ

M.K
Publishing
Distribution

شكر خاص

- للكاتبة الرائِعَة «نور الشيخ قاسم» على الدَعمِ الكَامِل الذي قَدَمته.
- للرسامِ المُبدِع «جودت نايف الزعبي» على التَصميمِ والدَعم.

كما أودُ أن أشكرَ كُل عائلتي وأصدقائِي وصديقاتِي وكُلَ مَن ساهَمَ في هذا العمَل وقدَم الدَعم والتشجيع.

أتمنى أن ينالِ إعجابكُم.

الإهداء

إلى مَــن يَقِــف عنــدَ أبــوابِ الحُــبِ حائــراً أن يتَقــدَم بخطــوةٍ أو يَرجِــع خُطــوة.

مقدمة

دَعيني أسافِرُ إلى عينيكِ ...

وأكتبُ صفحاتُ حبٍ

تَصِفُ إلهامَ عاشقٍ بكِ و هائم

دَعيني أسكنُ حقولُ قلبك

وأعزِفُ لحنَ الغرامِ و الكَمال

كيفَ لكاتبٍ مُغرم

أن لا يتعلمَ حروفكِ الأبجدية

أو يَتباهى بكِ بسطورٍ في قصيدةٍ غَزلية

دَعيني أكونُ بينَ النبضِ و العروق

فَـ بحبكِ ..

لا أتقنُ سِوى التطرف و الغرور

أيعقل أن لا أتفاخرَ بكِ بأمسيةٍ شعرية

أرجوكِ

كُوني حبيبتي ..

أنتِ جميلتي , ساحرتي , مؤنسةٌ لوحدتي

و موضوعٌ لحياتي

أرجوكِ اسمحي لي ألا أموت ولا أكون.

****

الفصل الأول

مُحاولاتٌ و كَفى

لكلٍ منا حكاية , ليست كمثلِها منَ الحكايات , حكايةٌ في ذاكرتِنا, لن ننساها يوماً , لو رجعنا قليلاً إلى الماضي لغيرنَا كثيراً من أحداثِ الحكاية لأنَنا بالتأكيد حاربنا لأجلها كثيراً و وضعنا تحتَ تحديات وضغوطات جعلتنا في بعض الأحيان نيأس منها و نقرر أن نتركها .. ولكن رغم ذلك أمضينا حتى وصلنا إلى النهاية ..

ربما حصلنا على النهاية التي نريدها, وربما لا ..

لكننا ربحنا في كل الحالات لأنَ الحكاية جعلت مِنا أشخاصاً آخرِين و أقوى بكثير, أشخاصٌ قادرين على تخطي الأصعَب فمهمَا حَصل يجب أن لا نحزن, وأن نبقي الأمل بداخلنا , لأن القادم أفضل.

عدتُ إلى الذكرياتِ مرةً أخرَى
إلى أحاسِيس , أشواق , و آلام
عدتُ إليها كزائرٍ غريب !!
أتجولُ إلى الأماكنِ التي اجتمَعنا فيها, وإلى الطُرُقاتِ التي مَرينا خِلالها
بدأتُ بقراءةِ الرَسائل التي بَيننا, و أسترجع الأحداث التي حدثت مَعنا
ما أروعَ تلكَ الأيام, وما أمتعَ أحداثها ..

رَغمَ كل الضغوطات والمشاكل التي واجهناها
إلا أنَها كانت من أجملَ أيامِ حياتي
كم من أيامٍ قَضَيناها سوياً
كم من مواقفٍ ضَحكنا ومرحنا فيها
كانَت السعادة في أيَامنا
و روح المرح دَاخلنا
كيفَ بدأ و انتهَى كل شي؟ لا أدري!!

ما أسرعَ الأيام!..

مرّ إحدَى عشرَ عاماً على قِصتِنا ولا زلتُ أذكرُ كل لحظة كانت بَينَنا يا جميلة العينين , شعركِ الطويل عيناكِ العَسَليتين, ابتسامتكِ الساحرة, و كلُ شيءٍ فيكِ جميل.

قصتُنا بدأت عندما رأيتكِ أولُ مرة في كفتيريا الجامعة
وكان أولُ دوامٍ في الفصل الدراسي الأول
كنتِ جالسة مع صديقاتُكِ صامتةٌ لا تَتكلمين كثيراً
وتَسرَحينَ بعضَ الشيء, نظرتُ إليكِ بدهشة!

وسألتُ نفسي:
- ما بِها؟
- لماذا صامتة رغمَ أنَها جالسة مع صديقاتها؟
أتلكَ الفتاة جديدة لم أرَاها من قبل!

وكثيرٌ من الأسئلة راودَتني لكن لم أعطِهِم الكثيرَ من الأهمية.
رآني صديقي خالد و قالَ ضاحكاً :
- إلى ماذا تنظر؟

أجبته:
- أنظرُ إلى تلكَ الفتاة ذاتُ العيونِ العسلية التي تَرتَدِي قميصٌ زَهري.

نظرَ مُتعجباً وقال:
- ما بِها؟
- هل تَعرفُها؟
- لا, لماذا تسأل؟
- يوجدُ فيها شيءٌ غامض لا أعلم ما هو!
ضحكَ خالد بسخريةٍ وقال:

- و ما شأنكَ أنت!
- لا أعلم لكن أريدُ أن أتكلمَ مَعها.
- لا تَنفعل كثيراً حتى لا تندَم كمَا تفعلُ دائماً.

- لا تقلق, والآن قُل لي ما هي خُطتكَ لهذا الفصل يجب أن نفعلَ شيء جديد.

- لا يا يوسف أرجوك لا أحبُ المشاركةُ في هذهِ الأمور!

لم أدقق على الأمر وأظهرتُ أنهُ لا يوجد مشكلة في ذلك لكن شعرتُ من داخلي بالانزعاج منهُ ,فهوَ كعادتهِ لا يحبُ المشاركة في شيء ولكن قلتُ لأجرب مرةً أخرى علهُ يرضى , ففي بعضِ المرات تحدثُ بيننَا مشاجراتٌ بسببِ ذلك و نزاعات..
و بالرغمِ من ذلك أحبهُ جداً, هو ليسَ فقط بمثابةِ صديق!

هو أكثرُ من أخ, ساعدَني في الكثيرِ منَ المواقف, ودائماً بجانبي حينَ أحتاجُ إليه, الصديقُ المخلص نورٌ يضيءُ دربك , وسعادةٌ تدخلُ حياتك, وروحٌ تسكنُ بداخلك.

عدتُ بعدَها إلى المنزل و ألقيتُ التحية على أمي سألتُها كيفَ حالها و كيفَ كانَ يومَها, أجابتني:

- الحمدُ لله, كيفَ كانت محاضراتك؟

- كالعادة في أولِ يومين في الفصلِ لم نأخذ أيُّ محاضرة.

- بالتوفيقِ إن شاءَ الله, أدرس جيداً لهذا الفصل.

- لا تقلقي سأفعلُ ذلكَ و الآن يا أميرَتي اسمحي لي أريدُ الذهابَ إلى النوم فلم أنم جيداً ليلةَ البارحة.

خلدتُ إلى النوم, وبعدَ ساعتين رنَ هاتفي, استيقظتُ لكي أرى من هو المتصل!

إذ بهِ خالد, أجبتُه:
- أهلاً خالد ماذا تريد؟
كانَ صوتي واضحٌ أنني استيقظتُ للتو.
- أيقظتكَ من النوم!
و بدأ بالضحك.

غضبتُ بعض الشيء وقلتُ:

- أرجوك أنا مُرهقٌ ماذا تريد؟
- أعتذر, أتذكر الفتاة التي تحدثنا عنها اليوم؟
- نعم, ما بها ؟
- عندما عدتَ إلى منزلكَ, ذهبتُ إلى مكتبةِ الجامعة كي أقراء كتابٌ كالعادة وجدتُها جالسة بيدها كتاب و شاردةُ الذِهن وكأنها بعالمٍ ليسَ بالعالم الذي نحنُ عليه, شرودِها كانَ مُلفتا للأنظار, بالفعل معكَ حق يوجد بها غموضٌ ملحوظ.

- ألم أقل لكَ, الغموض كانَ واضحاً عليها.
- صدقتكَ الآن, وهذا لا يعني أن تُكلمها.
- لا لن أفعل.

عادت الأسئلة بَيني وبينَ نفسي مرةً أخرى لكن هذهِ المرة كنتُ أريدُ أن أعرفَ ماذا حدثَ معها.

- تعجبَ خالد من اهتمامي وقال:

- لا تتدَخل في شؤونِ أحد ولا تهتم بأمورٍ لا تعنيك! لماذا تريد أن تعرفَ ماذا حصل؟ دَعها و شأنها ربما تتغير بعدَ فترة.

- معكَ حق, لكن غموضها ليسَ طبيعيّ , لا أعلم جذبني بطريقةٍ غريبة! أثارَ عندي الفضول لمعرفةَ ما حصلَ معها رُبما تشعرُ بالوحدة, وربما تحتاجُ إلى مساعدةِ أحد!

صمتَ خالد بعض الشيء ثمَ قال:

- معكَ حق! و أنا معكَ في أي شيء تريدهُ ,أنتَ هكذا يا صديقي دائماً تحبُ مساعدةُ الآخرين وتُحب إسعادِهم و لا تكترث كثيراً لسعادتك.

صَمتُ قليلاً وقلتُ له:
- سعادَتي يا صديقي حينَ أرى الابتسامة في وجهِ شخصٍ يحتاجُ إلى تلكَ البَسمة, حينَ أزرعُ السعادة في قلوبِ الآخرين حينَ لا أشعرُ بوجود أي حزنٍ في قلبه تلكَ هي أعلى درجاتُ السعادة بالنسبةِ لي!! صَدقنِي كُلما ساعدتَ شخص تشعرُ بأنكَ تريد أن تساعد أكثر.

قالَ أبي لي قصةٌ غيرت حياتي بتفاصيلِها:
«كانَ رجلاً غنياً متجهاً إلى أحدِ مطاعمِ المدينة كي يأكل و عندَما وصل وجدَ بجانبِ المطعم شاباً فقيراً, يبحثُ عن طعامٍ في النفايات, لم يتَحمل الرجلُ الغنيّ هذا المنظر وقالَ له:
- ماذا تفعل؟
نظرَ إليهِ الشاب الفقير نظرةَ حزنٍ وبدأ بالبكاء, تعجبَ الرجلُ الغنيّ وقالَ له:
- توقف عن البكاء أعلمُ أنكَ جائع هيّا تعالَ معي لنأكل.

ابتسمَ الشابُ الفقير وقال:
- حقاً! تريدُ أن آتي معكَ لنأكل؟

رغمَ سوءِ حالتهِ إلا أنهُ شعرَ بالسعادة لأنّ أحدُهم ساعدَهُ و أشعره بالإنسانية وأنهُ جزءٌ منَ المجتمع, و فرداً منه.

قالَ لهُ الرجل الغني:
- لندخل إلى المطعم ونتحدث.
جلسا على الطاولةِ ثُمَ قالَ الرجلُ الغني:
- ما الذي جعلَكَ هكذا؟

أجابَهُ الشاب الفقير:
- أمي و أبي توفيا منذُ سنتين و كانا فقيرين, ولم يتركا لي أي شيء, وأنا أريدُ العمل لكن لا أحد يريدُ توظيفي لأنني لا أحملُ شهادة دراسية!

تعجبَ الرجلُ الغنيّ وقال:
- ما هذا الظلم! حسناً يا بنيّ سأسَاعدُكَ و أعطيكَ مبلغاً من المال تشتري فيهِ ملابس جديدة و تستأجر منزلٌ صغير وغداً صباحاً سأنتظركَ في شركتي عند المنطقة «د» كي أعطيكَ وظيفة ومن ناحيةِ دراستكَ لا تقلق أنا سأتكفلُ بها.

بكى الشابُ الفقير وقال بتعجب:
- حقاً! أتريدُ أن تفعلَ كلَ هذا لأجلي , من الآن أنا خادمك يا سيدي و سأفعلُ كل شيء تطلبهُ مني.

قال الرجل:
- لا يا بُني لستَ خادمي أنتَ بشرٌ مثلي ولكن ساعد شخصاً آخر مُحتاج وقُل لهُ أن يفعلَ المثل!.

مرت الأيام ومَضَت السنوات ولم ينسى أبداً الشاب كلامَ الرجل الغني الذي لولاهُ لما أصبحَ الآن طبيباً وحالتُهُ جيدة جداً.

الشابُ الفقير أصبحَ طبيباً, و من أشهرَ الأطباء أيضاً ولكنّ التواصلَ بينَ الرجلُ الغنيّ و الشاب قد انقطعَ من فترةٍ طويلةٍ بسببِ الأعمال الكثيرة.

وفي يومٍ من الأيام جاءَ اتصالٌ طارئٌ إلى الطبيب من المستشفى وقالوا لهُ:

- لدينا حالة طارئة يجب أن تأتي حالاً.

ذهبَ الطبيبُ مسرعاً إلى المستشفى ودخلَ إلى غرفةِ الطوارئ, ثمَ قال:

- أينَ الحالة؟

قالت الممرضة:

- إنهُ في الغرفة «ب» .

ذهبَ و تفقدَ الحالة و إذ بهِ طفلٌ صغيرٌ يبلغُ من العمرِ تسعةُ سنوات يُعاني من تضيقٍ في شرايينِ القلب و بحاجةٍ إلى عملية بأسرعِ وقت.

قال للطفل:
- لا تَخَف يا صغيري؟
بكى الطفلُ الصغير وقالَ ببطءٍ شديد :
- أرجوك لا تدعني أموت!

وغابَ عن الوعي, تأثرَ الطبيبُ وقال:
- احضروهُ إلى غرفةِ العملياتِ بسرعة!

قالت الممرضة:
- لا نستطيع!
أجابها بغضبٍ شديد:
- ماذا !! الطفل يموت وتقولين لا تستطيعين هيّا اذهبي وجهزي غرفةُ العمليات!

شعرت الممرضة بالخوفِ من ردةِ فعلهِ وقالت:
- عائلتهُ لا يستطيعون دفعَ تكاليفَ العملية.

قالَ بكلِ ثقة:

- أنا سأدفعُ التكاليف ليعيشَ الطفلُ إن شاءَ الله والآن اذهبي وجهزي غرفةُ العمليات بسرعة.

انتهى الطبيبُ من العمليةِ بعد أن استغرقت أربعةَ عشرَ ساعة وكانت العملية ناجحة و بقيَ الطبيبُ من لحظةٍ إلى أخرى يُراقبهُ و يطلُ عليه.

وبعدَ عدةُ ساعات استيقظَ الطفلُ و كانَ الطبيب بجانبهِ ففرحَ فرحاً شديداً.

وقالَ لهُ:

أرأيتَ يا صغيري أنتَ الآن بخير, الحمدُ لله على سلامتكَ.

قالَ لهُ الطفل وكان يُصعبُ عليهِ الكلام:

- شكراً يا طبيب , أحبكَ جداً.

أجابَ الطبيبُ بفرح:

-لا تشكرني يا عزيزي ..

فسمعَهُ رجلاً كبيرٌ في السن وقاطعهُ قائلاً:

- بل ساعد شخص اخر واطلب منه ان يفعل المثل

اندَهشَ الطبيبُ و قال:

- سيدي هذا أنت !!

ثم ضَمهُ وبَكى, الرجلُ أيضاً وقال:

- شكراً لكَ يا بُني أتعلم أن الطفلَ الذي أنقذتَهُ حفيدي!! كم أنا ممنون لكَ!!

تعجبَ الطبيب:

- سيدي حفيدك!! ماذا حدثَ لكَ فأنتَ من عَلمني و جعلتَ مني أشهرُ طبيب ماذا حصلَ لكَ أخبرني!!

- دخلتُ في صفقةِ بيعٍ كبيرة وضعتُ فيها كلَ أموالي.. وكانت صفقةٌ مربحة جداً وكنتُ أحد المشاركينَ فيها و ابن عمي ولكن!! ابن عمي قام بسرقة الأموال وهرَبَ ولم يبقى لدي مال واضطررتُ لبيعِ الشركةِ و العقارات التي كنتُ امتلكها وسددتُ بها ديوني من أجلِ علاج حفيدي لكن المال لم يكفي, ساءت حالتهُ وقالوا لنا لم يبقى إلا أشهر له فحالتهُ سيئة جداً و أتيتَ وأنقذته

-شكراً لكَ يا بني..

اندهشَ الطبيب وقال:

- ولماذا لم تقل لي يا سيدي لماذا !!

- أنتَ بمثابةِ أبي الآن ما حصل قد حصل و أرجوكَ يا سيدي من اليوم علاجُ حفيدكَ أنا سأتكفلُ بهِ و تعليمهِ و أعدكَ إن شاءَ الله كل شيءٍ سيتحسن يا أبي.

- بالفعل قصةٌ مؤثرة يا يوسف, الآن أنا أصِرُ أن تتعرفَ على الفتاة وتُساعِدُها ثُمَ ضحكَ.
- وهذا ما سأفعلهُ, غداً سأتحدثُ معها.
- حسناً أراكَ غداً يا يوسف.

في اليومِ التالي كعادةِ كلِ صباح استيقظتُ من النومِ وجلستُ قليلاً مع والدتي ثم ذهبتُ إلى الجامعة. وعندما وصلت ذهبتُ لشراءِ القهوة و توجهتُ إلى المحاضرة وكنتُ متأخراً بعضَ الشيء, طرقتُ الباب ثمَ دخلت وجدتُ الدكتور يأخذُ أسماءَ الحضورِ و الغياب فقلت له:

- صباحُ الخير دكتور أعتذر عن التأخير, أتسمحَ لي بالدخول؟

أجابني و كانَ غاضباً بعضُ الشيء :

- تَفضل لكن أرجوكُم لا أريدُ أي تأخير مرةً أخرى.

دخلتُ إلى القاعة وبدأ الدكتور بإعطاءِ المحاضرة وبالتأكيد كانت من أكثرِ المحاضرات مللاً وكل بضعُ دقائق أنظرُ إلى الساعةِ و أقول:

- يا ربي ! متى تنتهي المحاضرة, مللت!

بقيتُ على هذهِ الحالة حتى انتهت المُحاضرة!

وعندما خرجت وجدتُ خالد كعادتهِ ينتَظرني عندَ بابِ القاعة!

قلتُ لهُ:

- خالد ما هذهِ المحاضرة لقد أعطَانا حتى آخِرَ دقيقة إنها بالفعلِ مُمِلَّة!

ضحكَ خالد بسخريةٍ.. وقال:

- أخبرتُكَ لا تأخذ أي مادة عندَ الدكتور منصور فهو مُمِلٌ جداً و لا يشرحُ المادة بشكلٍ جيد!

- لا يوجدُ أحدٌ غيرَهُ يُعطي المادة! على أيّ حال لنذهب إلى المحاضرةِ التالية سوفَ تبدأ بعدَ قليل.

تَوجهنا بعدَ ذلك إلى المُحاضَرة و دخلنا القاعة
و إذ بالفتاةِ معنا في نفسِ المُحاضَرة!

كانت تجلِسُ بمفرَدِها بهدوء تنتظرُ قدوم الدكتور أثارَ ذلكَ فضولي مرةً أخرى ماذا حدثَ لتلكَ الفتاة ؟
لماذا الجميعُ يتكلم مع بعضهم البعض وهي جالسةٌ لوحدِها دونَ أن تتكلَمَ مع أحد!

قلتُ لخالد:
- أريدُ أن أتحدَثَ مَعها لكني أخافُ أن ترفض وتُحرجني أمامَ الجميع.

أجابني :
- مِنَ الأفضلِ أن لا تُكلمها أمامَ الجميع كي لا تسبب إحراجاً لها و لنفسك.
أتى الدكتور و أخذَ الحضورَ و الغياب! وهنا علِمتَ أن اسمُها «لولا», وبدأ بالمحاضرة.

تناقشنا جميعاً حولَ الموضوع و أعطَى الجميع رأيهُ وكانت محاضرةٌ مُسلية جداً, وفي نهايةِ المُحاضرة قالَ الدكتور:

- أتمنى أن الجميع استفادَ من محاضرة اليوم, وفي المرةِ القادمة أرجوا منَ الجميع أن يُحضِرَ لي تقريراً حولَ هذا الموضوع, يمكنكُم الخروج, انتهت المُحاضرة.

خرجنا بعدَ ذلك, قلتُ لخالد:

- أخيراً انتهينَا من مُحاضراتِ اليوم, سوفَ أذهبُ إلى المنزلِ الآن, أراكَ غداً إن شاءَ الله.

في اليومِ التالي عندمَا وصلتُ إلى الجامعةِ ذهبتُ إلى المكتبة كي أدقق التقرير الذي طلبهُ الدكتور للمرةِ الأخيرة, فرأيتُ «لولا» جالسة بهدوءٍ تقرأُ كتاب..

قلتُ لنفسي:

- هذهِ هي اللحظةُ المُناسِبة لتكلمها تشجع هيا !!

توجهتُ إليها وبدأت نَبضاتُ قلبي تتسارع شيئاً فشيئاً و قلتُ لها:

- صباحُ الخير أعتذر عن إزعاجكِ, لكن أريدُ أن أسألك هل أنتِ مَعنا بمحاضرةِ الساعة الحادية عشرَ أليسَ كذلك؟

أجَابتني وكانَ جوابُها جامداً و كأنها لا تريدُ أن تتحدث:

- نعم صحيح ! لماذا؟

تداركتُ نفسي وأجبتُها:

- أرجوكِ لا تُسيئِي فَهمِي كنتُ أريدُ أن أسألكِ عن التقرير الذي طلبَهُ الدكتور, هل يَجِب أن يكون مَطبوع على ورق أم على جهازِ الحاسوب !

بقيت «لولا» مصرة على ردةِ فعلها الجامدة وأجابت:

- حسناً, لا يجب أن يكونَ مطبوعاً, والآن أعذُرنِي يَجب أن أكمِل قراءة.

ذهبتُ لأكمِلَ تدقيق التقرير و شعرتُ ببعضِ الغضبِ والإحراجِ و بدأتُ أكلِمُ نفسي:

- ما بالُ هذهِ الفتاة! لِم أسألُهَا عن اسمِها أو شيء! ما كُلُ هذا الغرور؟ لو أنَها آخِرُ فتاةٍ في الجامعة لن أكلمُها مرةً أخرى.

انتهيتُ من تدقيقِ التقرير و ذهبتُ إلى المحاضرة و وجدتُ في طريقي صديقي خالد, ألقيتُ السلامَ عليهِ و تَوَجهنا معاً إلى المحاضرة, ثمَ قلتُ لهُ:

- رأيتُ «لولا» قبلَ قليل وتحدثتُ مَعَهَا.

شعرَ خالد بالسعادةِ وقال:

- حقاً! هذهِ أخبارٌ جيدة أخبرني ماذا حصَل؟

ضحكتُ باستهزاءٍ وقلتُ له:

- أخبارٌ جيدة! أيُ أخبارٍ جيدة أجابت بجمودٍ و غرورٍ وكأنَها آخرُ امرأة على وجهِ الأرض.

أعلمُ أنَ ما قلتُه لخالد حينها خطأ, يجب أن أراعي ظَرفَها مَهمَا كان, وبالتأكيدِ أنا غريبٌ بالنسبةِ لها فمنَ المتوقع أن يَحصلَ ذلك لكن كانت لحظةُ غضبٍ وطيش.

تعجبَ خالد مِن كلامي وقالَ:

- يوسف ماذا حصل! أنتَ دائماً هكذا تحكمُ على الأشخاصِ بسرعة هدِأ مِن روعكَ وأخبرني ماذا حصل؟

- رأيتُها في المكتبة, وأخبرتُه بالذي حصل...

- فهمتُ كلَ شيء, والآن دَعنا ندخل المُحاضَرة و بعدَ أن تنتَهي أخبركَ بكلِ شيء.

وبعدَ أن انتهينَا مِنَ المُحاضَرة ذَهبنا أنا وخالد إلى كفتيريا الجَامعة وجَلسنا هناك و قلتُ لهُ:

- والآن أخبرني ما الذي فَهمتَه! قبلَ المحاضرة قلتَ لي أنكَ فهمتَ كُلَ شيء!

ابتسمَ خالد وقالَ:

- يا صديقي, هي ليسَت مغرورة ولا أيُ من ذاكَ الكلام أنتَ شخصٌ غريبٌ بالنسبةِ لها رُبَمَا لا تُحبُ التكلمَ مع الغرباء, ولكن أنتَ غضبتَ وحكمتَ عليهَا دونَ تفكير فيا صديقي انسى ما حصلَ ومنَ الأفضلِ أن لا تُزعجها مرةً أخرى.

- معكَ حق يا خالد, لن أكلمُهَا مرةً أخرى.

بعدَ عدةِ أسابيع بدأت اختباراتُ الشهرِ الأول وبدأَ كُل دكتور بإعطاءِ مواعيدِ اختباراتِ مادتِهِ, فكنَا في محاضرةِ المادةِ التي تاخذُها «لولا» مَعنا وقالَ الدكتور:

- طُلابي الأعزاء موعدُ الاختبار يومُ الاثنينِ القادم ادرسُوا جيداً و أتمنى لكم التوفيق, هل منكم لديهِ أسئلة؟

رَفعت «لولا» لأولِ مرة يَدِها وقالت:

- دكتور,أنا لدي سؤال, يوجدُ بعضٌ من المواضيع لم استطع فَهمهَا هل تَستطيعَ أن تشرحَ لي قبلَ موعدِ الإمتحان؟

- أعتذر يا لولا لديّ الكثيرُ مِنَ الأشغال, استعيني بزملائكِ و إن لَم تفهَمِي تعالي إلى مكتبي في ساعاتي المكتبية لأجيبكِ على بعضِ الأسئلة.

- حسناً دكتور أشكرَك!

خَطرَ على بالي في تلكَ اللحظة فكرة وسألتُ نفسي:

- لِما لا أخبِرُها أنني يُمكن أن أسَاعِدُها في فَهمِ المادة؟ لكن تَذَكر كيفَ أجابتنِي آخرَ مرة. ماذا لو فَعلَت ذلكَ مرةً أخرى؟

لا ... مُحالٌ أن تفعلَ ذلكَ فأنا أريدُ أن أساعدُها!

بدأت الشكوكُ و الأسئلةُ تُرَاودنِي في عقلي أأكَلِمُهَا أم ماذا؟ رغم أنني قلتُ لا لن أكلمها مرةً أخرى, ما الذي غيرَ قرَارِي؟ ماذا أفعل؟

انتهت المحاضرة, تشجعتُ وذهبتُ إليها وقلت:

- مرحباً لولا سمعتكِ تقولينَ للدكتور أنكِ بحاجةٍ لفهمِ بعضِ المَواضيعِ مِن مادةِ الامتحان يُمكنني المساعدَة إن أردتِ؟

أجابَت بجمودٍ مرةً أخرى:

- شكراً لكَ, أستَطيعُ أن أدبِرَ أمري.

ثمَ ذهبت, لَم أغضب هذهِ المَرَة ولكن شعرتُ بإحراجٍ كبير, شعرتُ وكأنَني شخصٌ بلا قِيمَة, لماذا أفعلُ ذلكَ لنفسي؟ شخصٌ لا يريدُ أن يُكلمك لماذا أفعل كُل هذا لما وضعتُ نفسي في ذلك الموقف السيئ..

أيجب أن تُجرحني حتى أفهم أنها لا تريدُ أن تُكلمنِي يكفي إلى هنا لن أتحدَثَ معها مرةً أخرى, فلا يُعقل أن يَحصُل هذا المَوقِف لي مرةً أخرى و إلا سأجعلُ من نَفسِي أضحوكَة, على أيّ حال ما حَصلَ قد حصَل سأنسَى أمرُها وأهتَمُ بما هو أهم.

شعرتُ بحزنٍ في ذلكَ اليوم ليسَ لأنَها رَفَضَت أن تُكلمنِي. بل لأني عرضتُ عليها المساعدة وفعلَت بي هكَذا فأنا لم أفعل شيء أزعجها أو قام بأذيتها كلُ ما كنتُ أريدهُ المساعدة, لماذا فعلت ذلك؟

ما أصعبَ أن يرفضَكَ شخص, تشعرُ وكأنَ بداخلكَ جبالٌ و براكين على وشكِ الانفجار, و في عيناكَ هموماً تقتلك في كلِ خطوةٍ تَخطيها, لو مت ثمَ عشتَ ثمَ مت لآلافِ المرات لن يُشفى ما بداخلكَ.

الفصل الثاني

إلى مَتَى؟

في يومِ الامتحان, دَخلنَا جميعاً القاعة وقد حددَ الدكتور أماكنُ جلوسِ كل طالب منَا.. وقالَ:

- طُلابِي الأعزَاء الرّجَاء مِنَ الجميع الجلوس في المقعدِ المحددِ لهُ كي نبدأ الامتحان,جلسنَا جميعاً و قامَ بتوزيعِ الورقِ وبدأنَا بالإجابةِ عن الأسئلة, وأثناءَ الامتحان كنتُ أنظرُ إلى «لولا» و علاماتُ الاضطرابِ و القلقِ واضحٌ عليهَا فقلتُ لنفسي:

- لماذا تفعلُ ذلكَ بنفسِها, على كُلِ حال أسألُ الله أن يُوفقُها. انتَهى وقتُ الامتحان و قالَ الدكتور:
- الرجاء مِنَ الجميع, ضَعوا الأقلام, انتهى وقتُ الامتحان.

زادَ اضطرابُ «لولا» وقالت بتلعثم:
- دك.. دكت.. دكتور أرجوك انتظر قليلاً أرجوك.

أجَابَ الدكتور بغضب:

- هيا يا «لولا» انتهى الوقت.

ثُمَ قامَ بسحبِ ورَقَتِها, ومن ثمَ أوراقُ الطلاب وخرجَ مِنَ القاعة, وكانَ الجميعُ غاضب مِن صعوبةِ الأسئلة ويقولوا:

- ما هذا الامتحان! كانت أغلبُ الأسئلة صَعبةٌ, لِماذا فعلَ الدكتور بِنَا هكذا؟

واثناء ذلك خرجت لولا من القاعة وكانت عيناها مدمعة و حزينة جدا .. فقلتُ لخالد:

- هذا جزاءُ مَن يُكابِر ولا يُريد مساعدة أحد .. أنظُر كيفَ حالُها الآن.

غَضِبَ خالد مني بعضُ الشيء وقالَ:

- يوسف ما بكَ؟ لِماذا تتكلَم هكذا, لأنها رَفَضَت مُساعدتكَ؟ يوسف إنها حُرّةٌ بتَصَرُفَاتِها و خيارها, مَن أنتَ لتُفرِض عليهَا أيُّ شيء؟ منذُ متى وأنتَ هكذا؟ لِماذا كُل مرة يَجب أن أخبِرُكَ بتلكَ الأمور؟

خجلتُ مِن نَفسي بعدَ ما قالهُ خالد, وشعرتُ أنني أخطأتُ بِحَقِهَا, وقلتُ لهُ:

- أخبرِني ماذا يجب أن أفعل؟ أأكلمُهَا مرةً أخرى أم لا؟

- لا تُكلمها يا يوسف, لا تَضغَط عليها, هي لا تُريدُ التكلمَ معكَ! انسى مَوضُوعها.

- حسناً لن أفعل.

- أخبِرني كيفَ قدمتَ في الامتحان؟

- الحمدُ لله ليسَ سهلاً ولكن قدمتُ جيداً و أنت؟

- نفسُ الشيء, الحمدُ لله.

وفي اليومِ التالي أنهى الدكتور تصليحُ الأورَاق وبدأ بإعطاءِ علاماتِ كلِ طالب..

وعندَما وصلَ إلى علامةِ «لولا» قالَ:

- لِماذا هكَذا علامتُكِ يا «لولا»! أنتِ أقَلُ علامَة مِن بينِ الطُلاب, ألم أققُل لكِ انك اسألي احداً من زُمَلائِك لمُساعدتكِ و إن لم تَجِدِي مُمكن أن أجاوبكِ على بعضِ الأسئلة.

- ماذا حصل؟

أجابت وكانت حزينةٌ جداً:

- لا أعلَم ما حَصَل, ولكِن دَرَستُ جيداً.

- حسناً, ولكِن انتبِهي وادرُسي جيداً في الامتحاناتِ القَادِمَة و إلا لَن تَنجَحِي في المادة.

- سأبذلُ مَا بوسعِي.

وهنَا خَطَرَت ببَالِي فكرة, سألتُ نَفسي:

- أنا أعرِفُ الدكتور جيداً, وبينَنا عِلاقة صداقَة واحترام جيّدة, لِمَا لا أشرحُ وَضعَ «لولا» للدكتور دونَ عِلمِها لَعَلَ وعسَى أن يقومَ بمُساعدَتِها و هكذا أكون ساعدتُها و رُبما أدخِل السرور على قلبِها.

تشجعتُ وقلتُ الفكرة لخالد, تعجبَ مني جداً وقالَ:

- لولا, لولا, مرةً أخرَى, يوسف لِماذا أنتَ مُصّر على هذهِ الفتاة, ألم نتفِق من قبل أن تنسى أمرَهَا, ماذا حَصَلَ الآن؟

- يا خالد افهَم ما أعنِيه, أنا أريدُ مُسَاعَدَتِهَا.

- فَقَط مُسَاعَدَتِهَا, مَاذا لو غَضِبَ منكَ الدكتور؟ أو وضَعَكَ بموقفٍ مُحرِج. لماذا تضعُ نفسكَ في مواقفٍ مُحرِجَة, يُفَضَل أن لا تتدَخَل في الأمر.

- أنا أعلم ما تقوله, لكن سأحَاوِل للمرةِ الأخيرة.

- حسناً يا يوسف افعل ما تُريد, و إذا حَصَلَ أيُّ شيء لا تقول لي لِماذا حَصَل معي هذا, و مَاذا فعَلت, الخ...

- اتفَقنا, الآن سوفَ أذهبُ إلى الدكتور و أخبِرُه, تَمَنى لي التوفيق.

وبَعدَها توجهتُ إلى مكتبِ الدكتور, وعِندَما وصلتُ طرقتُ الباب وقلتُ له:

- دكتوري العزيز, أتسمحَ لي بالدخول؟ أريدُ التكلمَ معكَ بموضوع.

أجابَنِي وكانَت علاماتُ الترحيبِ واضِحَة عليه:

- أهلاً أهلاً يوسف, تفضَل كيفَ أسَاعِدُك؟

- الموضوع يخصُ «لولا» و أتمنى أن لا تُخبِرُها.

تعجبَ وقال:

- لولا! مَا بِهَا؟

- لا شيء, عرضتُ عليها مُساعدَتِي قبلَ الامتحان ورَفَضَت ولا تريدُ مُساعدةِ أحد, يوجدُ بِها شيءٌ غامض, لذلكَ جئتُ إليك لِمُسَاعَدَتِهَا.

- وكيفَ يُمكن أن أساعِدُكَ بِهذا المَوضُوع؟

- أنا ليسَ لدي الحق أنا أطلبُ منكَ هذا الأمر , ممكن أن تتعاونَ مَعهَا دونَ عِلم أحد وأنا متأكدٌ من أن هذا سيُعطِيهَا دافع وستدرُس أكثر.

-لا يُمكن ذلك , هذا يُعتبَر ظلم بحقِ الآخرين.

- لا دكتور, أنا فقط أطلبُ منكُ أن تُراعي ظَرفَها مَهمَا كان, وأن تأخذهُ بعينِ الاعتبار.

- فهمتُ ما تَعنيه, لكن صَدقنِي لا أستطيع, وأنا أحييكَ وأقدرُكَ لأنكَ تُفكِر في الآخرين.

- أشكرك دكتور.

بعد يَومين رآني الدكتور عندَ بابِ الكُليَة فقالَ لي:

- يوسف سأنتظِرُكَ في مكتبي أريدُ التكلمَ معكَ في أمرٍ ما.

- حسناً دكتور.

ذهبتُ بعدها إلى مكتبِ الدكتور وقالَ لي:

- كنتُ أفكر بموضوعِ «لولا» وتوَصَلتُ إلى قرار.

تعجبتُ جداً وأجبتُه:

- ما هو؟

- سأسَاعِد «لولا» لكن قبلَ ذلكَ سأتكلمُ معهَا وأخبِرُها و أتمنى أن أرى فرقاً بامتحاناتِ الشهرِ الثاني.

- فكرةٌ جميلة, ولكِن أرجوك لا تقل لَها أنني أتيتُ إليك.

- لا تقلق لن أخبِرُها.

بعدَ أسبوع كنتُ جالساً في مكتبةِ الجامعة صباحاً أراجِعُ بعضُ الدروس وكانت «لولا» هناكَ أيضاً كعادَتِهَا تقرأُ الكتب, وكنتُ أستَرِقُ النظر إلى عَينَيهَا, لكن لَم أحَاوِل التكلم مَعَهَا خوفاً مِن أن أزعِجُها أو أضغطَ عليها.

بعد عدةُ دقائِق فوجئتُ, كانت «لولا» مُتجِهة نَحوِي..

سألتُ نَفسي:

- إنهَا مُتجِهة نَحوي, أتريدُ أن تتكلمَ معي أم أنَها تُريدُ الخروجَ مِنَ المَكتبة فقط؟ وكانت علاماتُ التعجب واضحةٌ عليّ..

وعندَمَا وَصَلت عندَ الطاولة التي أجلسُ عَليهَا ..

قالت لي:

- صباحُ الخير, أريدُ فقط أن أعتذرُ لكَ عمَا فعلتهُ عندمَا تحدثتَ معي قبلَ فترة, أرجوا أن لا تأخذ موقفاً مني.

أجبتُها وكنتُ بينَ صدمَة و سرور:

- لم يحصُل شيء, نحنُ جميعاً زُملاء.

- حسناً شكراً لكَ, على كلِ حَال اسمي «لولا»

- وأنا اسمي يوسف.

- تشرفتُ بمعرفتِكَ يوسف والآن اسمح لي, أريدُ الذهابَ إلى المُحَاضَرة.

ثم ذَهَبَت ..

تفاجئتُ مِن مَوقِفها وقلتُ:

- ما الذي غيرَ مَوقِفِهَا ؟ ماذا حَصَل؟ أيعقَل أنَ خالد تَكَلَمَ مَعَهَا؟ أحقاً تلكَ التي كانَت تتكَلَم «لولا»؟

كلمتُ خالد وقلت له:

- خالد, أريدُ رؤيتُكَ حالاً دَعنَا نَلتَقِي عندَ كفتيريا الجَامِعة.
- أتوجدُ مُشكِلة ما؟
- دَعنَا نَلتقي وسأشرحُ لكَ كُلَ شيء.
- حسناً أراكَ في الكفتيريا.

ذهبتُ مُسرِعاً وكنتُ سعيداً جداً, رأيتُ خالد, جلسنَا سوياً وقلتُ لهُ بلهفة:

- إن قلتُ لكَ ما حصل هل تُصدقني؟
- بالتأكيد, ما الذي حصَل؟
- كنتُ جالساً في المكتبة .... وأخبرتُهُ ما حَصَل.

أجابني و علاماتُ السعادة واضحةً عليه:

- حقاً! و ما الذي جَعلها تفعلُ ذلك؟

- لا أعلم, أيُعقَل أنَ الدكتور أخبَرَها أنني تكلمتُ معهُ من أجلها؟

- لا أعتقد, فأنتَ طلبتَ أن لا يُخبرها بالأمر.

- أنتَ مُحق لَو أخبَرَها ما كانت ردةُ فِعلِها هكذَا.

- حسناً والآن اسمح لي يا يوسف أريدُ الذهاب, والدتي تنتظرُني في المنزل.

- لكن بعدَ قليل تبدأ المُحاضرة ألا تريدُ أن تحضرها؟

- لا أستطيع, لدي عمل يجب أن أنجزه, اذهب أنتَ وسآخذُ منكَ الشرح لاحقاً.

- حسناً, بالتوفيق.

توجهتُ إلى الُمحاضَرة, و في طريقِي صادَفتُ «لولا» ابتسمتُ لَهَا وسَألتُها بتردد:

- ذاهبة إلى المُحاضرة؟

أجَابت:

- نعم.

- ما رأيكِ أن نَذهبَ سوياً؟

أجابتني وكانت متفاجئة بعضُ الشيء:

- حسناً.

وأثناءَ توجهنا إلى المُحاضَرة تبادَلنَا الحديث:

- هذا أولُ فصلِ لكِ هنا؟

- لا هذا ثاني فَصل وأنتَ؟

- هذا الفصل السادس بقيَ لدي ثلاثُ فُصول و أتخَرَج

- بالتوفيقِ إن شاءَ الله.

- أشكرك, وكيفَ ترينَ الجامعة أتعجبك؟

- جميلة, لكن أنا لا أهتمُ كثيراً بِها.

- لِماذا لا تَهتمين؟

- قد تظن أنَني غريبةُ الأطوارِ لكن لا أحبُ التعاملَ كثيراً مع الطلاب.

- لا لِما أظنُ ذلك, يوجدُ الكثيرَ لا يحبُ التعاملَ مع الطلاب..

- صَحيح , اقتربَ موعدُ امتحانِ الشهرِ الثاني كيفَ استعدادُكِ؟
- جيدة وأنتَ؟
- الحمدُ لله هذهِ المرة يجبُ أن أحصلَ على علامةٍ جيدة.
- يُمكِنُكِ فعلهَا لا تقلقي وإذا احتَجتي أيُ شيء في المادة يُمكنني مُساعدَتِك.
- أشكرِك, ها قد وَصَلنَا المُحاضرة لندخل.

دَخَلنا المُحاضرة و بعدَ أن انتهت قلتُ لَهَا:

- إلى اللقاءِ لولا أراكِ غداً إن شاءَ الله.
- إلى اللقاء.

بعدَ أن انتهينا من امتحانِ الشهرِ الثاني وانتَهى الدكتور مِن تصليحِ العلاماتِ, كنّا في المحاضرةِ و كانَ الدكتور يَعطِي علاماتُ الطلاب , علاماتُ القلقِ و التوتر واضحةٌ على «لولا», وكأنَها أم تنتظر قدومَ مولدُها الجديد, فقد دَرَسَت جيداً للامتحان.

قال :

- كم أنا سعيدٌ مِن نتائِجَكم, بعضُكم تَحسنَ تحسناً ملحوظاً وكانت من أحدِ هؤلاء الطلاب «لولا»

لِذا أريدُ أن أبارِكَ لَهَا أمامَ الجميع و أقدرها على هذا التطورِ الكبير, فقد حَصَلت على علامةٍ كاملة و تقديراً لَها سأعدلُ عَلاماتِها في الامتحانِ الأول لأنها تستحقُ ذلك.

أجابت «لولا» وهي سعيدةٌ جداً:

- شكراً يا دكتور على كلِ هذا الدعمِ و التقدير, هذا كلهُ بفضلِ تدريسكَ و تعبكَ علينا.

- أشكرك يا لولا, وأتمنى أن أكونَ عندَ حسنِ ظنِكُم.

انتَهى الدكتور مِن توزيعِ العلامات و خَرَجنا مِنَ المُحاضرة و قلتُ لـ «لولا» :

- مُبارك, قلتُ لكِ يُمكنُك فِعلُها.

- أشكركَ يا يوسف, الحمدُ لله.

- العفو, ما رأيكِ أن نَذهَبَ إلى الكفتيريا.

- حسناً.

ذهبنَا إلى الكفتيريا و تبادَلنا الحديث:

- أتعلم يا يوسف انكَ بالفعل شخصٌ رائع.

- لِماذا؟ أنا لَم أفعل شيء لكِ.

- بل فعلت, أخبَرَني الدكتور بكلِ شيء.

تفاجأتُ كثيراً وتظاهرتُ بأنني لا أعلمُ عن ماذا تتحدث قلت:

- أيُّ دكتور؟ ما الذي تتحدثينَ عنه؟

- دكتور رامي الذي يعطينَا محاضرةَ الساعة الحادية عشر.

- نعم تذكرت, ماذا أخبَرَكِ؟

- أخبرني أنكِ ذهبتَ إليهِ, وأخبرتُه أنني مِنَ الطلابِ المتفوقين و كنتُ أشعرُ بالمرضِ وقتَ امتحان الشهرِ الأول, لذلك لم أحصل على علامةٍ جيدة فطلبتَ منه ُ أن يراعيني, مع أنكَ لا تَعرِفني, وعندما تكلمتَ معي لَم أتكلمَ معكَ بشكلٍ جيد, و رغمَ ذلكَ قمتَ بتأليفِ تلكَ القصة لهُ مِن أجلي , لذلكَ قلتُ يجبُ أن أذهبَ وأعتذرُ منكَ, أريدُ أن أسألكَ لِماذا فعلتَ ذلك؟

ما ثارَ تفكيري وزادَ مِن نَفسي حيرة لِماذا أخبَرَها الدكتور؟ ما الذي جعلهُ يفعلُ ذلك؟

أجبتُ لولا :
- أردتُ مُساعدَتُكِ, وجدتُكِ حزينةٌ جداً, عندَما علِمتِي بعلامتَكِ.

- معكَ حق شعرتُ بالكثيرِ مِنَ الحزنِ عندَما علِمتُها, لكن لماذا ساعدتني أنا؟

- أنا أساعِدُ الجميع, لو وَجدتُ أيّ شخصٍ آخر لساعدتُهُ أيضاً.

- ولكن لم أكلِمُكَ بشكلٍ جيد لعدةِ مرَات, لو شخصٌ آخر لَمَا فكرَ أن يُساعدُني أبداً, و أنتَ ساعدتَنِي لماذا؟

تعجبتُ كثيراً مِنَ الأسئِلَة شعرتُ وكأنَني بغرفةِ تحقيق كانت مُصِرَةً أن تَعرِف لِماذا وكأن شيء يُقلِقُها.

- رُبَمَا كانت لديكِ ظروفاً ولم تكوني بحالةٍ جيدة لتكلمي أيّ شخص .. لذلكَ لَم أهتم لتلكَ الأمور, أريدُ أن أسألكِ لِماذا أخبَرَكِ الدكتور أنني أنا الذي تكلمتُ معه؟

-بالحقيقة هو لا يريدُ إخباري لكني أصريتُ عليهِ كثيراً ليخبرني, لكنه قالَ لي أنكَ أخبرتُه أن لا يذكر اسمكَ..

-لِماذا؟

- لأنني لا أريدُ أن أكونَ مصدراً للإزعاج لكِ, وتقولي لِماذا لا يريدُ أن يفهمَ أنني لا أريدُ أن أتكلَم معهُ, أو لِماذا يتدخل بأموري؟

- أنا لا أفكرُ بتلكَ الأمورِ أبداً, ولَم أتكلم معكَ بطريقةٍ سيئة لأنني لا أريدُ و التكلمَ معكَ, لكن أخبرتُكَ مِن قبل لا أحبُ التعاملَ والإختلاطات كثيراً مع الطلاب.

- أنا أعلمُ, لكن لم أكن أعرفكِ حينَهَا, لذلِكَ فكرتُ هكذا.

- بالتأكيد, لن تعرفَ طبيعةَ الشخص حتى تتعاملَ معهُ أأخبركَ أمراً؟

-بالطبعِ تفضلي.

- أنتَ صديقٌ رائعٌ جداً, وأنا سعيدةٌ جداٌ لأننَا أصدقاء.

ابتسمتُ و أجبتُها:

- وأنتَ أيضاً, فأنتِ صديقةٌ نادرة.

-وأنتَ كذلك.

ومع مرورِ الأيامِ أصبحنا أنا و «لولا» أصدقاءً مقربينَ جداً, صرنا دائماً نجلسُ سوياً في الجامعة, نخرجُ مع بعضنَا البعض, ولا نفترقُ أبداً, دائماً نضحكُ, ولا نهتمُ لشيء, ولا نجعلُ شخصاً يتدخلُ بعلاقةِ صداقتِنَا لكن رغمَ ذلك كانت «لولا» بِدَاخِلِهَا حزناً تحاولُ إخفائه..

حتى أن عينيهَا تنطقُ بذلك, وكأنَّ بداخلهَا ألمٌ كتبتهُ الأيام و السنينَ, دائماً أحاولُ أن أعرفَ ما وراءَهُ, و أترددُ خوفاً مِن أن أقومَ بجرحِ مشاعرِهَا وأجعلُهَا تتذكرهُ مرةً أخرى, إلى أن أتى يوم كنّا ندرسُ سوياً لامتحان نهاية الفصل, سألتها:

- «لولا» هل أستطيعُ أن أسألكِ سؤال منذُ فترةٍ وأنا أريدُ أن أسسألكِ إياه.

- بالتأكيد.

- أنتِ تعلمين كم أنتِ صديقةٌ عزيزة, وكم أهتمُ لأمركِ لذلك دائماً أرى حزناً بداخلكِ تحاولينَ إخفائِه.. رغمَ أننا دائماً نضحكُ و نمرحُ إلا أنَ الحزنَ دائماً موجودٌ في عينيكِ.. ما سرُ هذا الحزن؟ أخبريني علني أساعدكِ, لا تدرين يمكن مع بعضنا أن نجتازَهُ, أعلَمُ أن بداخلكِ الكثيرَ مِنَ الكلام, تكلمي فأنا دائماً معكِ مَهمَا حصلَ أعدكِ.

نظرت «لولا» إليّ وبدأت الدموعُ تظهرُ في عينيهَا وكأنَ الحزنَ وُجدَ مَخرَجاً ليتكلَم..

قالت :

- أتعلم يا يوسف هذهِ أولُ مرةٍ أتحدثُ بِهذا الموضوع, الكلُ بداخلهِ شخصٌ صامتٌ, شخصٌ مُحال أن يتكلَم بكلمةٍ, فقد أرهقهُ التفكير وماتَت مشاعرهُ و أحاسيسُه شخصٌ صدَمتهُ مواقفٌ و لَحظات كُلُ ما يتمناهُ أن يفهمَهُ أحد و يعرِف ماذا يريد, هو تائهٌ بمتاهاتٍ لها بداياتٌ دونَ نهايات, يشعرُ بالوحدةِ رغمَ قربِ الجميع , وها هي حَالتِي, كل يومٍ بداخلي نيرانُ الشوقِ تُحرقنِي, أنا لم أكن هكَذا كنتُ سعيدة في حياتي و كانَ لديّ الكثيرُ مِنَ الأصدقاء وكنتُ اجتماعية و أحبُ المُشاركة والتفاعلِ بالجامعة وكانَ لديّ أسرةٌ جميلةٌ كنا ثلاثةُ أفراد, أمي وأبي وأنا..

أنا و أمي مقربين مِن بَعضِنا, كالصديقات ,كنتُ متعلقةٌ بِهَا بشكلٍ كبيرٍ جداً, لدرجة أنني لا أستطيعُ الابتعادُ عنها لأكثرَ مِن يومٍ, كنتُ يا يوسف أعيشُ أجملَ حياة, كُلهَا سعادة وآمال.

و في ليلةِ يومِ الجُمعة مِن شهرِ يونيو ٢٠١٦ شعرَت أمي بتعبٍ شديدٍ جداً, فذهبَ أبي بأمي مسرعاً إلى المستشفى وعندَما فَحصَها الدكتور قال :

- لديها حُمّة قوية, وحالتُها صعبةٌ جداً ادعوا لَها بالشفاء.

وبعدَ ساعاتٍ قليلة أتى إلينا الدكتور مرةً أخرَى وقال:

- نعتذر فعلنَا ما بوسعِنا, هذهِ اللحظات الأخيرة لَها يُمكنكم رؤيتها لآخرِ مَرَة ذهبتُ إليها مُسرعة ولم أكن أشعرُ ما بحولي كلُ ما أشعرُ بهِ أنني أريدُ رؤيتَها حالاً وعندَما وصلتُ إلى غُرفَتِهَا كانت علاماتُ التعبِ و الإرهاقِ واضحةٌ عليها ..

أمسكتُ يَدَها وبدأتُ بالبكاءِ ثُمَ قلتُ لها:

- أمي كُوني قَوية, لَدَينَا الكثيرُ لنفعلَهُ معاً, أعلمُ لا يوجدُ بكِ شيء, أنظُري كم هو جميلٌ وجهكِ وصافي كالبدرِ, لن أعطيكِ أكثرَ من يومٍ, سآتي إليكِ غداً كي نذهبُ إلى المنزل.

بدأت دموعِها تنزِلُ مِن عينيهَا وكأنها شخصٌ يقول لي وداعاً قالت لي:

- حبيبةُ قلبي, أحبكِ يا بنيتي المدللة, لا تقلَقي سأكونُ بخير اجعلِي الفرحَ دائماً موجودٌ بحياتكِ, وابقي كمَا أنتِ لأنكِ أجملُ فتاةٌ في هذا العالم, أن..ا... أحبـ...

و صعدَت رُوحها إلى السماءِ, لَم أستَطِع أن أتمَالَكَ نفسي فصرت أهزُهَا وأقول:

- أمي أمي !! استيقظِي أمي أمي تكلمي!!

لم أشعر بشيءٍ وقتُها ولَم أشعرُ حتى بنفسي , فقد ماتَت معها مَشاعري, قلبي توقفَ عن النبضِ و روحي أصبحَت كُلها آلام و جروح , فقدتُ أعزَ شخصٌ عندي في هذهِ الدُنيا, بموتِها فقدتُ كُلَ شيءٍ بحياتي فلا أعلَمُ حتى كيفَ سأمضِي بحياتي من دونِها ومنذُ ذلكَ اليوم تَغيرت , لم أقل لأحد ما حدثَ , ولَم أناقِشُهُ مع أحد أصبحتُ أفضلَ الجلوسَ لوحدي , وقليلٌ ما أكلِمُ أحداً وعندما يسألنِي أحدٌ ما بكِ؟

أكتَفي بجوابٍ واحدٍ وهو «لا شيء ظروفاً عائلية وستُحل قريباً إن شاءَ الله» ..

حتى عِندَمَا أجلسُ مع أحد أبقى صامتةٌ لا أتكلم وبدأت الناس تقولُ عنِي مضطَرِبَة و مَريضَةٌ نفسية و تراجَعَت درَاستي و علامَاتي انخفضَت.

تَغيرَت حياتي أصبَحَت كالجحيمِ, حتى يوماً من الأيام جلستُ مع أبي وقال:

- بنيتي , أنتِ تحبسينَ نفسكِ في دائرةِ الحزنِ والكآبة ولو كانَت والدَتُكِ لن تَرضَى على ما تفعليه, لذلِكَ يَجِب أن تَمضِي و تبدَئي مِن جَديد.

- معكَ حق يا أبي لكن لا أستَطيع أن أنسَاهَا, أشتاقُ لَهَا.

- أعلمُ ذلك, وأنا أشتاقُ لَهَا هي حبُّ حياتي, لكِن يَجِب أنن نَمضِي في حياتِنا , أتعلَمين ما الذي يجعلُ أمُكِ سَعيدة؟

- ما هو؟

- أن تَمضِي في حياتُكِ , و تبدئي مِن جديد.

- لكن يا أبي لا أستَطِيع حاولتُ كثيراً.

- حاولي يا بنيتي , إن لَم يَكُن مِن أجلُكِ مِن أجلِهَا.

- سأحولُ يا أبي.

- أنا دائماً بجانبكِ مَهمَا حَصَل.

- أعلَمُ ذلك, أحبُكَ يا أبي.

- وأنا أيضاً يا حبيبتي.

ما أصعبَ فُقدانِ الأم, تفقدُ العطفَ و الحنان ..
تشعرُ وكأنَكَ طيرٌ بلا أجنِحة, أمَامَكَ عالمٌ كبيرٌ ومُخيف
ولاتستطيعَ الطيَران, حتَى سماءُ الليلِ تختَفي فيهَا
النجوم و تبكِ فيهَا القُلوب تنظرُ إلى مَن حولَكَ ولا تراهَا
تشعرُ وكأنَ حروبَ العالمِ كُلها انطوَت على قلبكِ وأنَكَ
بقايا موطنٍ كُلِهِ حُطَام .. الأمُ هي النِعَم الوحيدةُ التي
عَجِزَ الكتابُ والشعراءِ عن وَصفِها .. هي التي لو جئتَ
بأقوى شخصٍ وأقسَاهُم في الدنيا ضَعِفَ عندهَا وبكى بينَ
أحضَانِها ما أجمَلَ الأم وعالمَهَا, وما أقسى بُعدُهَا.

- رحمةُ اللهِ عَلَيهَا, وكَمَا قالَ والدُكِ يَجب أن تَمضِي إن
لَم يَكُن لأجلُكِ, لأجلِ أبيكِ, أنا متأكدٌ أن بداخلِهِ حروباً و
أشواق لكن لا يريدُ أن يُظهِرُهَا, لذلكَ اعتَني بأبيكِ وكُوني
سنداً لهُ.

-بالتأكيدِ سأمضي.

- ومِن هذهِ اللَحظَة نُريدُ «لولا» القَديمة اتفقنا؟

ضَحِكَت «لولا» وقَالت:

- اتفقنَا يا صديق, شكراً على اهتِمَامِكَ, والآن لنُكمِل دراسة لدَينا امتحان نِهائي.

ومنـذُ ذلـكَ اليـوم شـعرتُ أنَـهُ يَجـب أن أدخِـلَ الـسرورَ والسـعادة عـلى مواطـنَ قلبِهَـا, يجـبَ أن أجعَلَهـا تنـسى مـا حَصـل مَعَهَـا لتشـعرَ بسـعادةِ الحيـاة مـرةً أخـرى.

****

الفصل الثالث

و نبضُ القلب...

دَعينِي أذهبُ إليكِ
و أعزِفُ لَحنَ الهَوى
دَعينِي أعرِفُ طُرُقَاتُكِ
وأكونُ عاشقٌ بِهَا ومُتيم
معكِ تَعلمتُ كيفَ هي
كلماتُ الغرامِ, العشقِ, والنغمِ
وكيفَ هي
مشاعرُ الإدمانِ و التجلل
دَعينِي أتعلمُ أوتارَ حُبكِ
وأكونُ سيدُ النغماتِ والترَنم
دَعينِي أتأمَلُ عيناكِ
وأرسُمُ مَواطِنَ الحنانِ و التدلل
دَعينِي أكونُ لكِ
لأتقِنَ لغةُ التفاخرِ و التكبر
يا سيدةً مِن دُونِ الجميع
يا عاصِفَة ساجنةَ للتفكير
مِن أجلُكِ أعلنتُ حروباً
أقتُل شعوباً
وأكونُ أولُ المُنتَصِرِين.

أأخبرُهَا أنني أحبُها؟ أيسمَى هذا حباً؟ لماذا أشعرُ بنيرانٍ حينَ يُكلمُهَا أحدٌ غيري؟ لِماذا أشعرُ بدفءِ الوطن عندَمَا أكونُ بجَانبِهَا ولا أفكرُ إلا بِها؟

بدأت الأسئِلة و الشكوك تَستَعمِرُ عقلي مِن كُلِ زاوية , جلستُ مع نَفسي كثيراً علني أجدُ الإجابات لأجدَ نفسي مغرماً بِها, كيفَ حصلَ ذلك لا أعلم , كُل ما كنتُ أريدهُ أن أساعدُهَا و الآن أنا مغرمٌ بها, لِماذا حصلَ ذلك! لن أخبرُها, كي لا أخسرُها, سأبقي حُبهَا مدفونٌ داخلَ قلبي لن أظهرهُ أبداً, أخفي مشاعري عندَما أكونُ مَعَهَا, وأطفئُ لهيبَ الغيرةِ عِندَما يتكلمُ أحداً ..

صمتَ الكلام وتَكَلَمَت الحروفُ و الأقلام
لا أدرِي يا سَيِدَتِي مَن أُلوم؟
نفسي؟ مَشاعرِي, أحاسِيسي؟
بمجردِ النظرِ إليكِ أنسى نَفسي
تَضطَرِبُ مَشاعرِي و تَقتلُنِي أحاسيسي..

بدأتُ أُدخِلُ السَعادة إلى حياةِ «لولا», أيُّ شيء يُشعِرها بالسعادة فَعلتُه لأجعَلَها تنسى الألم وتبدَأ من جديد.
دَرَسنَا جميعُ الامتحاناتِ النهائيَة سَوِياً, وعِندَمَا بدأَت العُطلة قَضَينَاهَا مع بَعضِنا البَعض, وكُلُ يومٍ كُنا نَخرجُ و نتكلم , فأصبحنَا روحاً واحدة و شخصٌ واحد.

ومَع مرورِ الأيام...
أصبَحت «لولا» شخصٌ آخر, اجتماعِية, مُتفوقَة والابتسامةُ لا تفارقُ شفتيهَا, وكأنَهَا انطلقَت إلى الحياةِ مِن جديد, لكن ما بدأَ يُقلقنِي أن قلبي بدأ بالنبض ومشاعرِي بالاهتزاز, فعندَما أنظرُ إليها أشعرُ أنني أرى الجنةُ أمَامِي, أرى الحياةُ , الآمال, السعادة, وكُل شيءٍ جميل يمكن أن تُهدينا إياهُ الحياة, وإن غابت أشعرُ أنّ رُوحي تَختنِق تُريدُ أن تذهبَ إلى تلكَ الطُرق التي تؤدِي إليها ..
ماذا أفعل؟ وكأنَها امتَلَكَتني وجعلتني مسجوناً في هَوَاها, ماذا أفعل؟

عندما رأيتكِ تَغيرَ كُلُ شيء
سرقتِ كُل تَفكيري
جذَبتِي كُل نَظرَاتي
حتى أصبحتُ مُتيمٌ بهواكِ
ليتَكِ تَعلَمين ما في قلبي
وكم أحبُكِ
ليتكِ تعلمين كم أريدُ أن أقولَ لكِ مِنَ الكلمات
كم أكونُ معكِ سَعيد
و مِن دُونَكِ وحيد
سيبقَى حبكِ محفوراً في قلبي
وموجودةٌ في خيالي
لأنّ حبكِ فقط ما أريد
أحبُكِ جداً ويا لَيتَكِ تَعلَمِين.

إلى مَتى ستبقى السطورُ والكلماتُ تَتَحدثُ, و كأنَني بدأت الخطواتُ إلى عالمِ الحب, كلُ يومٍ يزدادُ بدَاخِلي وأثيرُ غضبُ المَشاعِر, فأن حكمَت غضبُ المشاعرِ في مَملَكةِ الحُب , فلا سلامٌ بَعدَ ذلك.

بَعدَ فترةٍ قليلة لَم أستَطِع تَحمُلَ الأمر, غيرَتِي بدأَت تزدادُ شيئاً فشيئاً وغَضَبِي يكادُ أن يَنفَجِر وكأنَهُ قُنبلةٌ مَوقُوتَة قاربَ مَوعِدُها على الانفجار, قررتُ أن أصَارِحُهَا بمَشَاعِري وحُبِي لَها .

اتصلتُ بـ «لولا» وكانَ مُتبقي لبدايةِ الفَصلِ الدراسي الجديد يَومين فقط.

- لولا , كيفَ حَالُكِ.
- أهلاً يوسف , الحمدُ لله وأنت؟
- الحمدُ لله , كيفَ استِعدَاداتُكِ للفصل الجديد.
- على أتمِ الاستِعدَاد , أنا مُتأكدَة بأنهُ فصلٌ جميل فأنتَ معي ماذا سيكُونُ غيرُ ذلك؟

ابتسمتُ وشعرتُ بالسرور ثُم قُلتُ لَها:

- إنهُ جميل يا لولا بُقُربك, فأنتِ تجعلينَ كُلَ شيءٍ جميل.

- ما هذا الكلامُ الجَميل!

- لولا هل أستطيعُ أن أخبركِ بشيء؟

سألتُها و الخَوفُ يُقَيِدُنِي.

صَمَتت قليلاً وكأنَها عَلِمَت ماذا سأقُول , تَغَيَرَت نبرةُ صَوتِها, و القلق بدأ يَمتَلِكُها, أجابتنِي:

- أخبرنِي يا صديقي.

عندما قَالت لِي كَلمةُ صَديقي تَرددتُ, وتَوقَفَ عقلي عن التفكير, وعجِزتُ عن إخبارِها وقلت:

- ليسَ بالأمرِ المُهِم, لكن أردتُ أن أخبِرُكِ, ما رأيُكِ أن نُسَجِل المادة (ب) بدلاً من المادة (ج) ؟

- ليسَ عندي أيُّ مانِع لَكِن لِماذا؟

- سألتُ عدداً مِنَ الطلاب, وقالوا لي أنهَا أسهل بكثير
- لا بأس في أولِ يومٍ من الدَوامِ نَذهَبُ و نُسَجلُها ؟
- اتفقنا.

شعرتُ بحزنٍ شَدِيد في تلكَ اللَحظَة, لماذا لا أستَطيعُ أن أخبرها؟
أيُعقَل أنَها لا تحمِلُ مشاعر اتجاهي؟ هذا وارد, رُبما لا تُفَكِرُ بي حتى.. ورَسمتُ لنفسي قصةٌ مِنَ الخَيَال جعلتُ نَفسِي الضحية دونَ أن أدرِي.
إلى مَتى سيبقَى الحالُ هَكذَا, متى سَنلتَقِي أنا و أنتِ بنفسِ الطَرِيق, ونَجعَلُ كَلِمَاتُ الحُبِ تَتَدَفَقُ بَينَنَا
متى تَلتَقِي أروَاحُنَا ونَبنِي وطننَا البَعيد؟
وطنٌ لا يُوجدُ بهِ أحدٌ غَيرُنَا ..
أنا وأنتِ و حُبٌ لا يَنتَهِي ..
نستيقظُ على صوتِ أمواجِ البحرِ الهادئ

وصوتُ العصافيرِ الدافئ
نَسهَرُ تحتَ ضوءِ القمر
وتعزفينَ لحنَ العشقِ والجنونية
أمسِكُ بيديكِ الحَريرِيَة
وأنظرُ إلى عينيكِ المُلوكية
نتبادَلُ الكلِماتُ الرُومَانسِية
اكتَمَلَ القمرُ بجمالكِ
وأضاَءَت النجومُ بريقِ عينيكِ
ويبدأُ قلبي بالنبضِ لوجودكِ
كَم أهوَى تِلكَ الطُرُقَات
تلكَ التي تُؤَدِي إليكِ
أعلَمُ أنَهَا طويلةٌ و كُلُهَا مَتَاهَات
أريدُ أن أضيعَ وأتوهُ في حُبك
أنتِ مَملَكتِي و مَلِكَتِي
حياتِي و مَمَاتِي

لو كانَ بيدي اختيارُ القَمَر لأخترتُ سِحرُ عيناكِ
فهل يُمكنني أن أحصُلَ على حُبكِ دونَ عَذَاب؟

****

لم أستَطِع إبقاءَ الأمرَ بداخلِي, لقد ضَغَطتُ على نَفسِي كثيراً, أصبحتُ بحاجَة لشخصٍ أخبرهُ ما بدَاخِلِي لَعلَهُ يُساعدُني, لَم أجد أفضَلَ مِن «نيرمين» , أختِي الكبيرةِ التي تَكبرُنِي بـثلاثةِ سنواتٍ و تَربُطنا صداقةٌ قويةٌ جداً عندَما يحدثُ مَعِي أيُّ شيء, أذهبُ إليها .

ذهبتُ إلى «نيرمين» و وَجَدتُها جالسة وحدها, قلتُ لَهَا :

- نيرمين هَل أستَطِيعُ التَكَلمَ مَعَكِ بأمرٍ هام؟
- بالتأكيدِ يا يوسف أخبرني.
- لا أعلمُ مِن أينَ أبدأ, بصراحة يوجدُ ما يُقلقُنِي, ولا أعرف ماذا أفعل؟
- تكلَم كيفَ ما تَشاء, سأنصتُ لكَ حتى النهاية.

- حسناً, هل تَعرفينَ «لولا»؟ التي أخبَرتُكِ عنها مِن قَبل.
- تقصُد الفتاةُ التي ماتت والدَتُها؟
- نعم هي.
- ما بها ؟
- نحنُ مُقربينَ مِن بَعضِنَا, وصَدَاقَتُنَا قوية جداً, وأظنُ أنني أحبُها.

ابتَسَمَت نيرمين وقالت:

- اسمَع يا أخي, أنتَ تُقَيدُ نفسكَ في صندوقٍ مليءٍ بالأحزان وإن بقيتَ هكذا لَن تَخرُجَ منهُ يوماً وستَخسَرُ الصداقة التي بينكم, الحلُ بسيطٌ جداً يا أخي, دَع الأمرَ للأيام و لا تشغَل بالكَ أبداً, إن كانَ لكَ نصيبٌ بِها سيأتي اليومُ المُنَاسِب , وإن لم يَكُن فهذا نصيب أعلَمُ ما تَشعرُ بهِ لكن لا تَكُن عجولاً و عش يومِكَ ببساطة ولا تُعقد الأمور فالحياةُ جميلةٌ لِمن أرادها أن تكون جميلَة لا أحد يعرف ما يخبئهُ القدر.

- لكنني لا أستَطيعُ أن أخفِي حُبي لَها أكثرُ مِن ذلك لقد أتعَبَني الشعور, أريدُ أن أكونَ لَهَا فقط , ولا تكُونُ لأحدٍ غيري.

- صدقني يا أخي أفهمُ كلَ شيء, لكن كَما قلتُ لكَ أترُكهَا للأيام, رَكِز على ما هو أهمُ مِن ذلك دِرَاسَتُك.

واخرج من الحالةِ التي أنتَ بها, هذا أهمُ مِن ذلكَ بكثير اتفقنا؟

- اتفقنا, شُكراً على إنصَاتُكِ لي, أحبُكِ.

- لا علَيك وأنا أيضاً أحبُك.

أقنَعَتني «نيرمين» بكَلامِها, وارتحتُ بعضُ الشيء, لكن هُناكَ شيء بدَاخِلي يقول ؛ يَجب أن أخبرُهَا ..

تلكَ عادتي, عنيدٌ جداً, إن أردتُ فعلَ شيء, أفعلُهُ ولو حاربَني الجميع, وأبقى أحاوِل و أحَاوِل حتى النهاية جلستُ مَع نَفسي و بدأتُ أفكر, حتى اتخذتُ القرارُ النِهَائي سأُخبِرُهَا أولُ يوم دوامٍ وسأعترف لَهَا بحبي و ليحصُل ما يَحصُل.

اتصلتُ بخالد لكَي أستَشيرهُ بالأمرِ وكنتُ مُتَحَمِساً:

- خالد صديقي كيفَ حالك؟

- أهلاً يوسف, الحمدُ لله وأنت؟

- الحمدُ لله, هل سجلتَ للفصلِ الجديد؟

- نعم وأنت؟

- نعم, خالد أريدُ أن أستَشيرُكَ بأمر.

- تفضل ..

- خالد لَقَد فكرتُ كثيراً و كثيراً, وأخبرتُهُ بالأمر..

- اوه ! هذهِ خطوةٌ جُنونِيَة و جريئَة جداً, ما الذي حصل؟

- لا شيء, كُلُ ما في الأمر أنني لَم أعد أحتَمِل, وإن بَقَيتُ هكَذَا ستضيعُ مني «لولا» و تُحب شخصٌ آخر و تَنسَاني, لذلك سأخبرُهَا.

- أنتَ مُحِق, أنا أشجِعُكَ, اعتَرِف لَهاَ ولا تبقى هَكَذا لكن يجب أن تتأكد مِن تلكَ الخُطوة , وأن تكون مُتأكداً مِن أنَها تُحِبُك, فربما هي لا تُحبك, وتكون بالنسبةِ لَهَا كأخ أو صديق, فَكِر جيداً قبلَ أيّ شيء فـ صداقتكم جميلة و بريئَة لا تَخسرَهَا لمجردِ أنكَ لم تَعد تَحتملُ الأمر.

- بصراحة لست ُمتأكداً مِن تلكَ الخُطوة , لكن مَهمَا حصل سأخبرُهَا.

- استَمِع لما يقولهُ قلبك, وافعل ما تراهُ صحيح.

- يُخبرُني قلبي أن أذهبَ وأخبرُ تلكَ العينان طفلةٌ رقيقةٌ تحتاجُ إلى عطفٍ وحَنان يَدَيهَا مصدرٌ للدفءِ و الأمان , قلبي أصبحَ مُتكبراً في مملكةِ العُشاق, لا يرى إلا هي, ولا يريدُ غيرُها, أذهب فتلكَ معجزةٌ مُحالٌ أن تتكررُ مَرَتين.

ضَحكَ خالد ثُم قالَ:

- لا أعرِف ماذا أقولُ لكَ؟ لكن إن كُنتَ تُحبُهَا إلى هَذا الحد قُل لها.

-وهذا ما سأفعلهُ يا صديقي.

انتظرتُ أولُ يومٍ دوام بحرقةٍ شديدةٍ جداً, حتى جاء....
توجهتُ إلى الجامعة وكنتُ مُستعد, وعندما وصلت
توجهتُ لشراءِ القَهوة فرأيتُ ملاكاً يَرتَدي قميصاً أبيضاً
مع بنطلونِ جينز غامق اللون , تنتظرُ القهوة..
مُكَحلةٌ عيناها باللونِ الأزرق, وشعرُها البُني, تلمسهُ و
تتغنى بهِ الرِيَاح عينَاهَا ليسَت كأيّ عينان, كانَت جميلةٌ
كالقمرِ وساحرةٍ كالنجومِ , «لولا» الفتاةُ الوحيدة التي
احتلَت قلبي وسرَقَت تَفكيرِي ذهبتُ إليها وقلت:

- صباحُ الخير, ما هَذا الجمال, يا ليتَ كُلَ صباحٍ مثلَ هذا
الصَبَاح.

ضَحِكَت «لولا» و علاماتُ الخجلِ واضحةٌ عليهَا ثم قالت:

- صباحُ النور, شكراً هذا من لطفكَ و رقيكَ.
- العفو, ما رأيكِ أن نَتَمَشى قليلاً؟
- حسناً, هيّا بنا.

ذهبنَا لنتَمَشَى بعدَ ذلك وقلتُ لنفسي هذهِ اللحظةُ المُناسِبة لتعتَرِفَ لهَا بحبك فتبادلنَا الحديث:

- أتعلمينَ يا لولا أنا سعيدٌ لأنكِ بحياتي, أنتِ نادرةُ الوجود.

- وأنتَ أيضاً يا يوسف, دُخولِكَ بحياتي غيرَ الكثير.

- حقاً! وما الذي تغير؟

- تغيَرَ كُلُ شيء يا يوسف, جَعلتَنِي سَعيدة, مَرِحَة و طموحَة , معكَ أصبحتُ أحبُ الحياة, وجعلتَ مني إنسانةٌ قويةٌ لا تهتَم للظروفِ القاسية.

- هذا يُسعدُني حقاً, أتعلمين, مَعكِ أصبحَ لحياتي معنى و وُجود أنتِ الوحيدة التي لا أريدُ أن أخسرَهَا أبداً.

- وأنا لا أريدُ أن أخسركَ أيضاً ,أتعلَم سراً هذهِ أولُ مرة سأخبركَ به, أنتَ الشخصُ الوحيد الذي استطاعَ أن يُشفي جرحيَّ القديم, فلم يستطع أحداً أن يُشفيه حتى أبي لم يستطع الحمدُ للهِ أنكَ في حياتي.

- أنا دائماً أحمدُ الله أنني في يومٍ مِن الأيامِ تعرفتُ عليكِ, وأعدُكِ أنني دائماً سأكونُ بجانبك.

- أشكركَ يا يوسف وأنا سأبقى دائماً بجانبِكَ حتى المَمَات.

- لولا هل أستَطيعُ أن أخبرُكِ بشيء؟

نَظَرت إليّ عينيها وكانَت تلمعانِ وكأنهمَا تقولانِ لي هيّا قُلها فأنا أنتَظِرُها منذُ وقتٍ طويل.

- تفضل.

- لولا عندَما كنتُ أحاوِل أن أتعرَفَ عليكِ كنتِ فقط مُجرد صديقة و كلُ ما كنتُ أريدهُ مُساعدَتِك, و مَع مرورِ الوَقت أصبحتِ شخصاً عزيزاً عليّ, لدرجةِ لا أحبُ أن يُكَلِمُكِ غيري, ولا أحبُ أن تكوني لغيري, فقط لي أنا عقلي سَئُمَ من التنقل و بدأَ يسكنُ في حقولِ قَلبك, كما لَم أفعَل مع أحد بَدأتُ أهتَمُ لأمرِك أنا أحبُكِ يا لولا أحبُكِ جداً

حتى كُل حرفٍ في كلمةِ أحبكِ لَها معنى :

أ : أنا دُونَكِ لا أدري كيفَ أعيش.

ح : حنانٌ أنتِ لِمَشَاعِرِي.

ب : بكِ أفتخر و أكونُ سَعيد.

ك : كالنورِ أنتِ للعيونِ و الطَرِيق.

إني تَعَمدتُ السفرَ إلى عينيكِ
والسكونُ في عالمكِ
عالمُ الغَزَل, الشِّعر, وترانيمُ الحُب
إني تَعمدتُ البقاء
والتأملَ بأنغامِ حُبِك
إني تظاهرتُ الحزنَ
كي أبقى بأحضَانِك
وأكونُ طِفلكِ الصَغير
وجودُكِ يا حبيبتي

أمطَرَني دفئا
وأضاءَ نجوماً في طُرقاتي
زادَني عشقاً
وتطرفاً في كلِمَاتِي
تَخَيلِي مَعي يا حبيبتي
أنا وأنتِ معاً
في سماءِ ليلٍ ماطِر ..
تحتَ ضوءِ قمرٍ جاذِب
نَعزِفُ بأوتارِ الجيتار
ونستَمِع إلى مُوسيقى الكَمَال
نتبادلُ نظراتِ الحُب بيننا
ونُسَافِر إلى عالمِ العشقِ والإدمان
احمِلي أمتعتُكِ وحقائبكِ
لنبدأَ معاً رحلة الحياة ..

أنا يا لولا مُغرمٌ بكِ , وكنتُ أريدُ أن أعترِف بحبِي لكِ لكن لا أريدُ أن أخسَرَكِ, أنا الآن خائفٌ, ولكن يَجب أن أعتَرِفَ لكِ , لا يُمكن أن أتخيلَ نفسي مَع غيركِ أو أحِبُ غَيرُكِ, أنتِ الأولى والأخيرة, إن كنتُ مُجرَد صديق بالنسبةِ لكِ, أنا أعتَذر و انسي ما قلتُه ولا تذهبي أرجوكِ!

بَقيت «لولا» صَامِتة تنظرُ إلى عينيَّ مُبتَسِمَة ثمَ قالت:
- أتعلَم يا يوسف هذهِ أولُ مَرَة سأقولُها لأحد, لم أكُن أعلَم أنني سأقولُهَا لأحدٍ مرةً أخرَى, بعدَ وفاةِ والدَتِي لم أرد أن أتقرَبَ مِن شخص, خوفاً مِن أن نفتَرِق و تُبعدُهُ عنِي الأيام لكن عندَمَا يُحب القلب شخصاً لا أحد يَستَطِيعَ إيقافِه, أنا أيضاً أحبُكَ جداً يا يوسف و مُعلَقةٌ بكَ .. أنتَ بكلِ شيء رائِع, في حُبِك, اهتِمَامِك كلامِكَ, حَنانِكَ, سرقتَ قلبي, أرجوكَ حافِظ عليهِ, وكُن مُخلِصاً مَعي فأنا أثِقُ بكَ, وأنا أعدُكَ أنني سأحبُكَ دائماً ولن أخونَ حُبك أبداً.

- تَمزَحين؟ كيفَ لي أن أخُونَكِ, أيعقل مِن شخصٍ أنتِ مَحبُوبَتِهِ و يَخُونَها, هذا مُحال جداً !
أعدُكِ طالَمَا يوجدُ بداخلي أنفاس لن أخونكِ, وسأحبُكِ إلى آخرِ يومٍ في حياتِي وأحافظُ عليكِ, وأعدُكِ أيضاً أن لا تَكونَ حبيبة غيركِ في حياتي أنتِ قطعةُ ألماسٍ ثمينة الخاصةُ بي , أحبُكِ جداً لولا.

- وأنا أيضاً, لنتفِق على اتفَاق..

- ما هو؟

- أن نُحافِظ على حُبِنا, ولا نَجعل أيّ مُشكلة تُفرِقُنَا, وإذا فعلتُ معكَ أيّ شيء أزعجكَ أخبرني بهِ وأنا أفعلُ المِثل, لنجعَلَ الصراحة دائماً بَينَنَا, والأهمُ مِن ذلك لا نُدخِل أيّ شخص مِن الأشخاص بعلاقَتِنا ولا نُخبر أحداً بِها إلا مَن نثِقُ بهم, لأن القليلُ مَن يتمنى لكَ الخيرُ في هذهِ الُدنيا.

- اتفقنا, أعدُكِ بذلك.

لم أشعر بتلكَ السَعادَة التي شَعرتُ بها اليوم, شعرتُ وكأني وُلِدتُ مِن جديد, أخيراً سأقبِلُ على الحياة و كُلي سَعيد, أشعرُ وكأني امتلكتُ العَالَم ..

يومها كنتُ أريدُ أن أصرُخَ بأعلَى صَوت أنا سعييد! سعييد! أتسمعونَنِي .. أنا سعييد , بحياتِي أجملُ شخصٍ في الوُجود, أنا أعلَم أنَ السَعادة في المالِ والمَنصبِ ولكن السَعادَة المُطلَقة عندَما تُهديكَ الأيام شخصٌ تموت وتعيشَ مِن أجله تستيقظُ كُلَ صباح مِن أجلِهِ, تكون سعيد إذا كانَ سَعيد, وتبكِ ألماً حينَ يكون حزين, شخصٌ تخافُ وتُحنُ عليهِ كحنانِ الأمِ على طِفلِها الرَضيع, و تَجدُهُ ملجأ أمان حينَ تشعرُ بمخاوفكَ, شخصٌ كُلَمَا ضاقَت بكَ الدُنيا وزادَت عليكَ الضُغوطات لا تُفكر أن تذهبَ إلا إليهِ فهوَ الحضنُ الدافئِ و الخَلاصُ من همومِ الحياةِ والتفكير ..

شخصٌ لا تَشعر بالهدوءِ و السكينةِ إلا مَعهُ, فلا تُريد غيرهُ ولو حَولَكَ الجميع , شخصٌ تختنقُ شوقاً حينما يَكون بعيد, وتُحنُ إليهِ كالطفلِ الصَغير, أنتَ لا تَكون شيء بدونِهِ, لا أعلَم ولكن لا تَستَطيعَ فعلَ أيُّ شيء بدونهِ, و تَكون ضائعاً ولا تَعرِف كيفَ تعيش, كأنَه أمك و مُعلمُك الذي يرشدونَكَ ويعلمونَكَ كلَ شيء جديد, شخصٌ سكنَ قلبكَ محالٌ أن يكونَ لهُ بديل شخصٌ تُحارِبُ مِن أجلِهِ, ولَو وقفَ بطريقِكَ الجَميع هو بنظرَكَ مَن يَستَحِق أن يَكونَ لهُ كُلَ التقدير

شخصٌ تشعرَ بقربهِ و بوجودِهِ وهوَ يأتيكَ مِن بَعيد تُميزهُ مِن بينِ الجميع , تُميز ضحكتُه , عفويتِه ابتسامتِه , صوتِه , حزنِه صوتَ أنينهِ, لمسةُ يديهِ حنيتهِ, حتى رائحتُه التي تَجعلكَ تذوبَ بِها بينَ المَلايين..

شخصٌ لا تسمحَ لأحدٍ أن يقتربَ منهُ أو يؤذيهِ, هو الوَطَن وكُلُ شيء ثَمين, شخصٌ تعلمتَ معنى الإخلاصَ و أحببتَ الحياةَ لأجلهِ, وتجاهلتَ الجميعَ لقربهِ
هوَ ليسَ أيّ شخص على الإطلاق, هو شخصٌ محالٌ أن يتوقفَ عنهُ الوَصفَ أو التَعبير, فقد اخترتَهُ مِن دونِ الجميع, وقدستَ حُبِهِ, هو أسطورةٌ سيذكرُ في كتبٍ وذكرياتِ التاريخ.

بَقَينَا أنا ولولا مَع بَعضِنا طِوالَ اليوم وعندَ انتهاءِ الدَوام قلتُ لها:

- لقَد كانَ اليوم مِن أجملِ أيامِ حياتي, والآن أريد الذهابَ إلى المنزلِ قد انتهى الدوام أراكِ غداً يا أغلَى ما أملُك, انتبهي لنفسكِ جيداً, أحبكِ.

احمرّت وجنَتيها خجلاً و أجابتنِي:

- وأنا أيضاً أحبُكَ, وأنتَ أيضاً انتبه لنفسك.

توجهتُ بعدها إلى المنزلِ و كانت علاماتُ السَعادَة واضحةٌ علَي وعندما وصلت رأتنِي «نيرمين» فتعجبَت! وقالت لي:

- ما سرُ كُلَ هذهِ السَعادَة يا شقي؟ لم أراكَ هَكَذَا منذُ فترة!

- لو تَعلَمين ماذا فعلَ أخوكِ اليوم, لتقولينَ أنني مَجنُون.

تَغيرَت مَلامِحُ «نيرمين» وبدأَت تَظهرُ علاماتُ الغضَب والقَلَق عَلَيهَا فقَد ظَنَت أنَني فعلتُ مُصيبَة وقالت:

- يوسف! ماذا فعلتَ أخبرني؟

ضحكتُ قليلاً ثُمَ أجبتُهَا:

- لا تغضَبي لَم أفعل أيُّ مُصيبَة, و أخبرتُها بالذي حصلَ.

- أيُها المجنون! أحقاً فَعلتَهَا, أم أنهُ مَقلب آخَر مِن مَقالبِكَ المُزعِجَة؟

- لا لقَد فَعَلتُهَ.
- جيد , ولكن أتسمَع مِني بعضُ النَصائح؟
- بالتأكيد , أنتِ تتكلمينَ حتى دونَ طلب ذلكَ مني.
- أخي أولُ شيء أريدُ أن أنصحكَ إياه, أن تخافَ الله بِها ولا تَجرحَ مَشَاعِرُهَا عندمَا تُحب الفتاة , تُحبُ بكلِ ما تملك مِن مَشاعرٍ وأحاسِيس وعندَمَا تُسلِم قَلبَهَا لأحد فهذَا معناهُ شيء كبير, يعني أنهَا أعطتكَ الأمَان,الحُب, العَطف, وكُلُ شيء يُمكن أن تفدُيكَ فيه, عندَما تُحبُ فتاة, لا تنظر إلا بعيونِكَ, ولا تَسيرُ إلا على خُطاكَ,فتصبحَ الأب و الأم, الأخ, السَنَد و الرَفيق, هِي كالوَطَن يا أخي تَتَحَمَلُ كُلَ آلامِكَ, غَضَبِكَ, عُيوبِكَ حسنُاتكَ و كُلُ شيءٍ يَخصُكَ, فلا تَخونَ هذا الوَطَن, مَن يَخون الوَطَن لا خيرَ لَهُ في الدُنيا, فكُن لَهَا ملجَأ أمَان لا مَكَانَ خوفٍ و هَمُوم و اعلَم يا أخي إذا أحبتكَ فتاة ستكونُ مُخلِصَة لكَ حتَى المَمَات لذلك اعرَف قيمةَ تلكَ الجوهَرَة وكُن مخلصاً لَهَا

لذلك اعرَف قيمةَ تلكَ الجوهَرَة وكُن مخلصاً لَهَا تعش سعيداً أبدَ الدّهرَ, والنَصيحة الأخيرة يا عزيزي .. أنا أعلَمُ أنكَ تَعلمُها وأنا واثقة مِن أنكَ دائِماً تأخذُ بِها لكن أحبُ دائماً أن أذكِرُكَ بِها وهي لا تَنسى أبداً دراسَتُكَ ومستقبلكَ, اجعَل هذا الشيء هدفُكَ الرئيسي والكَبير في حياتِكَ.

- أعلَمُ كلَ كَلِمَة قُلتيها, و أنا أحبُها ولَن أحب غيرُهَا وستثبتُ لكِ الأيام هي بالنسبةُ لي عالَمِي الذي أعيشُ و أسكنُ فيه, سأحافِظ عَليهَا و أعملُ بكلِ كلمَة قُلتيها لي أعدُكِ بذلك.

- وأنا واثقةٌ مِن أنكَ ستفعلُ ذلك.

مضَت الأيام وزادَ تَعلُقِنَا أنا و لولا ببعِضنَا كثيراً, وكبُرَ ذلكَ الحُب بداخِلِنَا شيئاً فشيئًا وأصبحنَا جسدَين بروحٍ واحدة, أحلامُنَا واحدَة, آمَالنَا واحدة, سَعَادَتُنَا واحدة كلُ واحدٌ مِنَا جَعَلَ الآخر لَحنَهُ الجَميل يتغنَى بهِ دُونَ الجميع, وملجأهُ الوحيد يُحِنُ إليهِ كُلَمَا يَكون حزين ومَن بدونِ أحدٍ منَا مُحال أن نكون على الوجود, فَمَا أجمَل الحُب حينَ يكون صَحيح وما أجمَلَ أن تعشقَ شخصٌ يَستَحِقُ أن تَكونَ لهُ شخصهٌ الثمِين, تعيشُ لأجلهِ تَجتَهِدُ لأجلِه, تموتُ حباً بحبهِ, وتذوبُ عشقاً بسحرِ كلماتهِ و عذبِ صوتِهِ, تُسافِرُ إلى عَالَمِهِ وتَسكُن في بساتينِ قلبهِ, تَرَى كلَ جميلٍ بداخلهِ, وتَعيش حياتُكَ كلها بعالمِهِ, فالحبُ فن لا يتقنهُ إلا العُشاق.

وفي يومٍ مِنَ الأيام كُنا أنا ولولا جالسينَ سوياً , سألتنِي سؤال وتبدلنَا الحديث:

- حبيبي .. هل تَسمحُ لي أن أسألكَ سؤال؟

- بالـتأكيد تفضلي.
- حبيبي هذا السؤال يُراودني كثيراً, لا أعلمُ لماذا؟ ولا أعرفُ كيفَ أسألُكَ إياه!
- ما هو؟ اسأليه لا تجعلِي أيُّ شيء يُراودكِ.
- حبيبي أرجوكَ لا تسيء الظنَ بي ولكن لماذا اخترتنِي مِن بينِ الجميع, لِما أنا التي أحببتَهَا, يوجدُ غيري الكثير, ما الذي فعلتُهُ لتحبني إلى هذا الحد؟
- ببساطة لأنكِ جَوهرَة عن دونِ الجَميع, أنتِ مُعجزَة مُحَالة الوُجود وأنا محظوظٌ بها, قلبي اختارَكِ.. ومشاعرِ اهتزَت لأجلكِ, رُوحي مِلكُكِ, قلبي مِلككِ, وكلي أنا مِلككِ, كُل ما أتمناهُ مِن هذهِ الدُنيا أن تبقي بجانبِي دوماً, وأبقى على عهدةِ حُبكِ حتى آخرَ نفسٌ في حَياتي, حُبكِ ليسَ كلمة أو عبارة, بل حُب كلهُ نَغَم مليء بالدفءِ و الحنان, عِندَمَا أنظرُ إلى عينيكِ شيءٌ بداخلِي يقولُ لِي اطِل النظرَات, تلكَ النَظرَات تُغرِقُنِي في عالمِ الأحلام

لا أعلمُ كيفَ أصِفُهُ ولكن كُل شيء بداخلِي يتغير وعندَما أرَى ابتسامَتُكِ أشعرُ بأني أكثرُ شخص محظوظٌ في هذهِ الدُنيا, أنتِ مَوضُوعَ قلبي, وحِكَايةُحياتِي وتسألِيني ماذا أنتِ! لأنهُ بكلِ بساطة أنتِ.

- أحبكَ جداً يا يوسف, كَم أنا محظوظةٌ بكَ أتمنَى أن لا نَفتَرِق أبداً يوسف صحيح نسيتُ أن أخبرُكَ, يُوجد صَديقَة لي اسمُها سلمى لقد أخبرتُها عنّا وأريدُ أن أعرِفُكَ عليهَا جداً رائِعة .. !

أجبتُها بغضب:

- لولا أحقاً أخبرتيهَا عنّا؟

- لماذا غَضِبتَ, نعم أخبرتُهَا, ما الخطأ الذي فَعلتُه؟

- لأنَنَا اتفقنَا أن لا ندخل أيّ شخص بيننَا , ورغمَ ذلكَ أخبرتِي صديقتكِ و تريدي أن أتعرَفَ عليهَا, لقد أخبرتُكِ لا أحب أحد أن يَدخُل بعلاقتِنا, فلا أحد يُحِب الخيرَ لأحد صدقيني.

- حبيبي لِماذا كبرتَ الأمرَ إلى هذا الحَد؟ لا تقلَق لَم أنسى أيّ شيء اتفقنَا عليهِ, صَدِقنِي إنَها رَائعة وأنا أثِقُ بِها كثيراً, ولَن نَدخُل أيّ أحداً بِعِلاقتنِا أعدُكَ بذلك, أنتَ تثقُ بي , أليسَ كذَلِك؟

- بالتأكيدِ! علاقتنَا جَميلَة ويتمنَها الجميع.

- حبيبي لا تقلق, هيَ على علاقةِ حُب, وهم جداً مُقربينَ مِن بعضهِم البَعض, مُحال أن تنظرَ على علاقتنِا ثِق بي.

- حسناً حبيبتِي كَما تُريدين.

- أحبكَ حبيبي.

- وأنا أيضاً.

لم أكن أريدُ أن أقول لها, فهذهِ أولُ مرة تُريدُ أن تُعرفنِي «لولا» على صَديقتِها و أقولُ لها لا, لا يُعقَل لكن هناكَ ما يُقلقُني , أنا لم أراهَا أو أتكلَمَ إليها بَعد, شعرتُ بأنَ الشرّ آتي على علاقتنَا, يجب أن أكونَ مستعداً لأي شيء قَد يَحصُل لا أريدُ أن أخسرَ «لولا»

وسأفعلُ أيُّ شيء كي لا أخسرَها حتى لو كلَفني كُل شيء.

بعدَ عدةِ أيام رأيتُ «لولا» في الجامعة وكانَت مَعهَا «سلمى» ذاتُ الشعرِ الأسود وعينانِ خضراوتان حاسِدَة وشرٌ مَرسومٌ في وجهِهَا ,قالت لولا:

- مرحبَا حبيبي, أريدُ أن أعرِفُكَ هذهِ صديقتي «سلمى».

نَظَرَت إليَّ «سلمى» نظرةً ماكرة وقالت:

- أهلاً يوسف تشرفتُ بمعرفتِكَ أخبرَتني «لولا» كثيراً عنكَ, وكَم هي سعيدةٌ معكَ أتمنَى لكمَا التوفيق.

- شكراً, و لولا أيضاً أخبرَتنِي عن صَداقتِكُم وأنكِ صديقة عزيزةٌ عليهَا.

- نعم, لولا أيضاً عزيزةٌ عليّ, على كُلِ حال يَجِب أن أذهَب الآن أراكُم قريباً إلى اللِّقاء.

ذَهَبت «سلمى» ونَظَرَت إليَّ «لولا» نظرةُ ثِقة وقالت:
-هل صدَقتَني؟

- حبيبتي أنا أصَدِقُك وأثقُ بكِ ثقةٌ تامَة, لكن أتردينَ الحقيقة! أنا غيرُ مُرتاحٍ لَها أبداً, لا أعرف لِماذا ! يوجدُ شعورٌ بداخلِي غيرُ مُريح أبداً اتجاهِها.

- لا تَقلَق يا حبيبي هي طيبة و رائعة, ومَهمَا حَصلَ لن يُفرِقُنا أحد, لا تَسبِق الأحداث وتحكَم عليها بسرعة, رُبما لا تُريدُ أذيتِنَا أبداً و بالفعلِ تُريدُ الخير لَنَا.

- حسناً.

- حبيبي لا تُفكر كثيراً في الأمرِ, اتفقنا.

- اتفقنا.

ومَع الأيام أصبحَت «سلمى» تجلسُ مَعنَا دائماً, وتُحاوِل أن تكونَ مَوجودَة في كُلِ مَكَان نَكونُ فيه
كنتُ دائماً أعلَمُ أنهَا لا تجلسُ مَعنا محبةً بِنا و لا تَشعرُ بالمرحِ عندما تكونُ مَعنا, بل كانَت تجلسُ لهدفٍ ما لا أعرفهُ ولكنني مُتأكِد أنهُ ليسَ بخير, حتى أتى يوم وكُشِفَ فيهِ كلُ شيء, ففي يومٍ كنتُ أجلِسُ بمفرَدي في كفتيريا الجامِعَة وكانت «لولا» في مُحاضَرَتِها
أتت لي سلمى وقالت لي:
- صباحُ الخير, ما الذي تفعلهُ لِوحدِكَ, أينَ «لولا»؟
تكلمتُ بيني وبينَ نفسي ما الذي أتى بِها إلى هُنَا هذه!
أجبتُها بجمود:
- صباحُ النور, أنتظرُ «لولا», بعدَ قليل تنتَهِي مُحَاضرَتِها.
- جميل, هل أستطيع أن أتكلمَ مَعكَ بأمر؟

أجبتُها بتعجب:

- أنا! حسناً عندما تأتِ «لولا».

- لا, أريدُ أن أكلمُكَ بمفرَدِك, وأرجوكَ لا تُخبِر «لولا» بما سأقولُه.

بدأت علاماتُ الغَضَب تظهرُ عليّ:

- لِماذا؟ ما الأمر؟

- اهدأ قليلاً, الأمرُ يتَعلقُ بكَ أنتَ, «لولا» أخفَت عليكَ سراً ولم تُخبرُكَ به, فرأيتُ أنكَ شخصاً رائعاً ومُخلصاً لَهَا قلتُ مِن واجبي أن أنبهُكَ مِنها, حتى لا تَبقَى مخدوعاً بِها..

بدأَ غضَبي يزدادُ شيئاً فشيئاً:

- هل أنتِ بعقلِك؟ ما الكلامُ الفارِغ الذي تتحدثينَ عنه؟, «لولا» صديقتكُ وعزيزة عليكِ, لماذا تفعلينَ هذا بِها؟

- لا أتحدثُ بكلامٍ فارِغ , فقَط قُل لَهَا «عمار» وستتغيَّر مَلامِحُ وجهِهَا, أنا لم أخُن ثقتُها أو أغدرُ بِها, فقَط كَمَا قلتُ لكَ وجدتُكَ إنسانٌ رائِع وهي لا تَستَحِقُك, بَل تَستحقُ مَن يَخونُها و يذلُها أنتَ تستحقُ مَن يُقدركَ ويُحبكَ ليست «لولا» إطلاقا.

لم أستَطِع تَمالُكَ غضَبي إن تعلقَ الأمرَ بــ لولا:

- أولاً, إن كانَ مَن يَستحقُ الخيانة أو الذُّل هو أنتِ ثانياً إن تكلمتِ مرةً أخرى عن لولا بأيّ كلمة مهمَا كانت سأجرحُكِ بالكلام , لذلك ابتعدِي عن «لولا» و لا تتكلمي مَعَهَا أبداً , ومَهمَا فعلتي لن تُفرقيننا, أنا ولولا نقفُ بوجهِ مَن يقفُ بطريقنا, الحُبُ والثقة تَجعلُنا أقوياء على الجَميع, من الأفضَل أن تَذهبي ولا أريدُ أن أراكِ ثانيةً.

صمتَت «سلمى» و عَلاماتُ الخزيِّ و العارِ واضحةٌ عليهَا كوضوحِ الشَمس, ولَم تَستَطِع تَحمُلَ الكلام الذي قلتهُ لَها و ذَهَبَت

وبعدَ لحظَات أتَت «لولا» وكنتُ غاضِباً جداً, قالت لي:

- حبيبي ما بكَ؟ أراكَ غاضباً جداً أخبرني ما الأمر؟

- ألَم أقُل لكِ أنَنِي لستُ مُرتَاحٌ لِسلمى أبداً ألم أقل لكِ؟

- اهدأ حبيبي وأخبرنِي مَا بِها سلمى؟ ماذَا فَعلت؟

- سلمى هذِه التي تَعتبِرينَها صَديقتُكِ العَزيزَة, حاوَلَت أن تُفرقَ بيننا.

- سلمى! مُستحيل أن تَفعلَ ذَلك, أنتَ متأكد؟

- ولا زلتِ تُدَافعينَ عَنها؟ هل أخبرُكِ ما حصلَ؟

- يوسف اهدأ, أنتَ غاضبٌ كثيراً, اهدأ قليلاً ثُمَ تحدث.
- أنا لستُ غاضِب منكِ غاضب مِمَا فعلتهُ تلكَ الخائنَة.
- أرجوكَ اهدأ قليلاً أرجوك.
- سأهدأ, لكنَها أغضبتنِي كثيراً.
- أخبرني ماذا حصَل؟
- أتَت إليّ سلمى .. وأخبرتُ لولا بالذي حصل.

أجابتنِي بصدمة:

- حقا! فعلَت ذلك وأنا التي اعتبرتُها أعزُ مِن صَديقة فعلَت ذلك؟ أنا لَم أفعَل لَها شيء, لِماذا فَعَلَت ذلك لِماذا؟ قصةُ عمار هذهِ مِن تَأليفِها, أنا لا أعلَم مَن هو عمار أصلاً , أنت حبيبي فقط, أبي أخي ,سَنَدِي مصدرُ إلهَامِي وسعادةَ أيامي.

- حبيبتي أنا لَم أهتم إلى الأمر ولم أسألكِ حتى, لأنني أعلمُ مَن أحِب أنا لم أخترك عبثاً بَل اخترتُ ملاكاً مِن بينِ الجميع دعيني أخبرُكِ سراً.

أحبُكِ مِن دونِ الجَميع
وأدونُكِ في كُتبِ التاريخ
أنتِ روايتِي ومَنزِلي الوَحيد
أنتِ مَوطِني و ملجأي السَعيد
فلتقتربِي يا أنتِ
ولنصنَعَ قصةَ حبٍ
نتفاخرُ بها ونَجعلُها حكايةُ الجميع
اجعلي الأقلامَ تكتبُ لحنَ الحبُ الجميل.

- أحبكَ جداً يوسف, أتمنَى أن نبقَى مع بعضِنَا البَعض إلى الأبد.

- أنا أيضاً يا ملاكي.

الحـبُ ثقـة قبـلَ أن تكـونَ كلـمات, الثقـة أعمِـدَة أيّ علاقـة حُـب في هـذهِ الدنيـا, الحُـب تعامُـل واحـتِرَام قبلَ أيّ شيء, مـا يمكننـي قولـهُ الحُـب لغـةٌ لا يتقنُهـا الجميع.

****

الفصل الرابع

أيعقَل هذا؟

أعلَمُ أنكِ الوَحيدَة
وأنَهُ لا يوجدُ أحدٌ غيركِ
لو أحبَ قلبي مرةً أخرَى
واللهِ لأميتَهُ ألفَ مَرَة.

أمضَينَا أنا و»لولا» سَاعات, أيام و أشهُر , لم نكن نُحصِي الأيام, كُنَا سوياً نَذهَبُ إلى عالمِنَا ونَنسى أننَا جزءاً مِن هذا العَالم, نَحنُ نَصنع اللحظَات بيننَا, و كُل يومٍ نفعلُ شيء ونضحَك مِن جَديد, و في ليلةِ أول يوم دوام لآخرِ فصلٍ دِرَاسِي لي في الجامعة ..

اتصلَت «لولا» وكانت الساعة الواحدة في منتصفِ الليل وقالت:

- حبيبي, أريدُ أن أراكَ الآن.

أجبتُها بتعجب:

- حبيبتي الوَقتُ متأخر جداً, ألا ترينَ الساعة!

- أعرف لكن أرجوكَ أريدُ أن أراكَ الآن.

- حبيبتي لنتَكلَمَ غداً في الجامعةِ أفضل, الوقتُ متأخر الآن.

- لا أريدُ أن أراكَ الآن أرجوك.

تعَجبتُ مِن إصرارها على رؤيتِها إليّ في هذا الوقتِ المُتأخِر, ليسَ مِن عادَتِها أن تُلحَ على شيءٍ هكَذَا, لا أريدُ أن أقولَ لها لا وهي مُصِرة إلى هذا الحدّ.

- حسناً حبيبتي سآتي, لكن أخبرينِي لماذا تريدينَ رُؤيتي في هذا الوقت؟

- لا شيء فقط اشتقتُ لكَ, وأريدُ أن أراكَ الآن, لا لوقتَ آخر أريدُ الآن.

- حسناً سآتي مسافَةُ الطريق وأكون عندكِ.

ذهبتُ إلى «لولا» وعندَمَا وصلتُ رَكَضَت إلي وضَمتنِي بقوةٍ كبيرةٍ وقالت لي:

- شكراً لأنكَ أتيت, أحبُكَ جداً.

- أنا أيضاً أحبكِ, وها قد أتيت تَفضَلِي...

بَدَأت «لولا» بالكلام وهي متمسكة بيدي ومتكئة على كتفي طِوالَ ما كانت تتكلم, لكن كانت تَصَرُفاَتِهَا غريبَة حتى كَلامها, وكأنها تريدُ أن تذهبَ إلى مكانٍ بعيد وأرادَت أن تُودِعَني, لم أدقِق كثيراً, إلى أينَ سَتَذهَب؟ فهي تُحبُنِي بكلِ تأكيد.

- حبيبي, أتعلَم كم أنا سَعيدَة لأنكَ دَخلَتَ حياتِي؟ لقَد عِشتُ معكَ أجمَل أيامَ حيَاتِي.

- وأنا أيضاً حبيبتي, قد عشتِ, و تعيشي ذلكَ أيضاً طولَ العُمر.

- أتمَنَى ذلكَ حبيبي.

- لا تَتمني حبيبتي سأحققُ كُلَ أمانيكِ ولو كانَت مستحيلة.

- أتعلَم ما أتمنَاهُ حبيبي؟

- ما الذي تَتَمَنِيهِ؟

- أتمنى أن تكونَ دائماً سعيد, وأن تبقي تلكَ الابتسامَة على وَجهِك.

- طالما أنتِ بجانبِي, مُحال أن لا أكونَ سعيد لا تقلقي حبيبتي.

- أعلَمُ ذلكَ حبيبي, لكن أريدُ أن تكونَ سعيداً حتى مِن دُونِي.

- حبيبتي لِما هذا الكلام؟ أرجوكِ دَعينَا مِن تلكَ الأحاديث.

- لا شيء حبيبي فقَط أتكلمُ هكذا.

- حسناً, ولكن دعينا نتكلمُ عَن أمرِنَا الآن فلا يَهمُنا أي شيء آخر.

وبقينَا طوالَ الليلِ سوياً نتحدثُ ونتبادل الأحاديثِ حتى قلتُ لها:

- حبيبتي يَجب أن أذهبَ الآن, لقد استمتعتُ جداً معكِ اليوم, أحبُكِ جداً, أراكِ غداً حبيبتي.

دَمعت عينيهَا وضَمَتنِي بقوةٍ ..

وقالت:

- أنا أيضاً أحبكَ جداً, أرجوكَ اعتنِي بنفسك.

- وأنتِ أيضاً اعتنِي بنفسك, أراكِ غداً.

في الصباحِ استيقظتُ راجياً لقائِها عندَ طاولتِنَا التي اعتدنَا الجلوسُ عليها وعندما وصلتُ لَم أراهَا جالسة تنتظرنِي كَمَا في كل صباحٍ في الفصولِ المَاضِية تعجبتُ قليلاً لكن قلتُ رُبمَا تَأَخَرَت سأتصلُ بِها لأرى أينَ هِي, اتصلتُ وكانَ هاتِفُها مُغلق

ومِن هُنا بدَأت الشُكُوك تَصِلُ أبوابَ عَقلِي بدأتُ أشعرُ بأنَ شيئاً سيئاً على وشكِ الحُدوث, ذهبتُ إلى المُحاضرَة وقلتُ دَعنَا لا نُكبِر المَوضوع رُبَمَا لم تشحنَ هاتفها, بالتأكيدِ سأراها في المُحاضَرة, ولكن ما زادَ قلقي أنها لم تأتي إلى المُحاضرة هذا ليسَ من عادةِ «لولا» أبداً, أن تغيبَ دونَ أن تخبرني, هي دائماً تقولُ لي كُلَ شيء, ما الذي يحصل؟ انتظرتُ الدَوام حتى ينتهي بحرقَة كبيرة كي أذهَبَ إلى منزِلها لأرى ما الذي جَعَلَهَا تفعلُ ذلك ..

وما إن انتهى الدوام ذهبتُ مُسرعاً إلى بيتِ «لولا» و عندَما وصلتُ رأيتُ كُلَ نوافذِ بيتِها مُغلَقَة والأبوابُ صَامِته, وكأنهُ لا يوجَد بهِ أحد, ضغطتُ على زرِ الجَرَس ولَم يَرُد أحد, أصبحتُ أواسِي نَفسِي وأقول رُبَمَا ذَهَبَت إلى مكانٍ ما وتعود سأنتَظِرُهَا عندَ الباب, انتَظَرتُهَا طِوال الليلِ ولَم تأتِ ..!

لَم أيأَس كُلَ يومٍ أتَصِلُ بها, و أرسِلُ لها رسائل وانتَظِرها عندَ بابِ بيتِها كمتسولٍ حَزين, ولم أترُك أي مكانٍ و زاويَة إلا وبحثتُ عَنها, ولكن لَم أجد لَها أي أثر أو أسمعَ عنها خَبَر, وبَقيتُ على هذهِ الحَالة أشهر, حتى أدركتُ أن رُوحي اختَفَت, و قلبي قُتل علمتُ أنني الآن وحيداً بين الحُفر,لا أعلمُ طريقُ السَعادَة والفَرَح, تَغيرَ كُلُ شيء في داخلِي, لَم أعد سعيداً كَمَا كُنت, حتى الإبتِسَامَة أصبَحَت ألذُ أعدائِي أصبحتُ في الجامعة أجلِسُ وَحدِي ولا أتكلَمُ مع أحد حتَى في مَنزِلِي لم أعُد أخرج مع أهلِي أو أضحَكَ مَعَهُم صِرتُ كالغريبِ بينهُم, بل حتى بينَ الجميع, «لولا» كانَت كُل شيء جميل, لم أكن أستَطِيعَ أن أكمِلَ يَومِي دونَ ابتسامتُهَا وصَوتُها العزيز, الآن هي ذَهَبَت وذَهبَ مَعَهَا كُلُ شيء, كيفَ أعيش! لَم أدرِي ماذا أفعل! كُلُ ما كُنتُ أشعرُ بهِ حينَها بالألم وأوجاعٌ لا تشفيهِ السنين

حتى دِراسَتِي أهمَلتُها مُستقبَلِي كانَ هِي ونظَري كانَ هِي , خطواتي كانَت هِي, وكُلُ شيء كانَ هِي, ليتَنِي لم أعرفُكِ يوماً لَما كنتُ الآنَ حائراً و وحيداً منذُ أن رَحلتِ لاحظَ الجميعُ كم كنتُ حزين, حاولَ الجميعَ أن يواسوني و يقفوا بجانبي ولكن لم يَستطِع أحداً ملئَ الفراغِ الذي تركتهُ «لولا» الجميع يقولوا لِي يوسف ما حَصَل قد حَصَل رَكِز الآن على مُستَقبِلِكَ و دراسَتِكَ لم يبقى لديكَ إلا القليل, ولكن دونَ جَدوَى.

أتَت امتحاناتُ الشهِر الأول ولم أنجَح بأيّ مادة و أتَت امتحاناتُ الشهرِ الثاني و أيضاً لم أنجَح كُلُ شيء قد دُمِر, و بدأوا أساتذتي يقلقونَ بعلامتي هذهِ, مُحَال أن أتخرَج, لكن لَم أكن أشعرُ بخطورَتِها لأنني مَكسُوراً جداً, ومَسجُون بذكرياتِ حُبِها ..

أتاني إنذارٌ مِنَ الجامعة, أنهُ مِن المُتَوَقَع تأخر تخريجي فصلاً بسببِ العلاماتُ المُتدنية التي حَصَلتُ عليها ولكن أيضاً لم أكن أكتَرِث لذلك, وقبلَ امتحاناتِ الفصلِ النِهائية كنتُ جالساً في الجامعة وَحدِي وأستَمِعُ إلى أغانِي حزينة أتى إليّ خالد غاضباً ..

وقال:

- أعطِنِي هذا الهَاتِف, واستَمِع لما سأقولُه, تَرَكتُكَ على راحتِكَ قلتَ لنفسي سيرجِع إلى طبيعتِه لاحقاً ولكن مِنَ الواضحِ أنكَ ستبقَى هكذا, لذلك ستستَمع لما سأقولُه لكَ و ستفعل كُل ما أقولُه وإلا لن ترَى مِنِي خيراً يوسف أنأ أعلَم ما تَشعرُ به فقد شعرتُ بهِ مِن قَبل لكِن مُستقبلُكَ أهم بكثيرٍ مِن هذا, لم يتبقى إلا شَهر على الامتحاناتِ النهائية, إن لَم تَستَعِد جيداً وتَدرُس لَن تَتَخَرَج هذهِ السَنَة ..

لديكَ فُرصَة أخيرَة لا تُضيعُها أرجوك, لقَد تَكلَمتُ مع الدكاترة وشرحتُ لهم أنكَ تَمُر بظروفٍ خاصة , لذلك قالوا لِي إن قامَ بعملٍ جيد في الامتحاناتِ النهائيَة سنساعدُه على التخرجِ هذا الفَصل, «يوسف دائماً كانَ مِنَ الطلابِ المُتفوقين والذينَ لديهم أثراً أينَما وُجِد». مِنَ الآن لننسَى ما حَصَل وكُلُ يوم سأتابعُ معكَ بما أنجزت, ستتخرَج هذا الفَصل إن شاءَ الله, ونحتَفِل سوياً اتفقنا ؟

- خالد صَدِقنِي لَم أعُد أهتَم بشيء, إن تَخرجتُ هذا الفصلِ أو بعدَ سنتين, بعدَ «لولا» لم أعُد أريدُ هذهِ الحياة, أحياناً أفكِر لِماذا أبقَى على قيدِ الحياة؟ فلَم يبقَى لِي شيء أعيشُ لأجلهِ بعدَ أن ذَهَبَت والسؤالُ المُحَال أن يذهبَ مِن داخلِ عقلي لِماذا رَحلَت فجأة؟ حتى أنهَا لَم تُخبِرني لماذا؟ فقَد كُنا نَعيشُ أجملَ قصة مع بعضِنَا ما الذي حَصَل؟

- استَعِذ باللهِ ولا تَقُل ذَلِك يا يوسف, لا أستَطيعَ أن أقولَ لكَ إنسَاهَا, لأنَنِي أعلمُ أنكَ لن تفعل, أنتَ تعشَقُهَا حدّ الجنون, لكن انهَض مِن جَدِيد إن لم يَكُن مِن أجلِكَ ليكن مِن أجلِهَا قد يَكون تفوقَكَ ونجاحِكَ سبباً بأن تلتقي بِها مرةً ثانية وتعلَم ما الذي حَصَلَ معهَا.

- خالد أريدُ أن أرَاهَا, لا أحد يعلمُ ما بداخلِي, أتعلَم ما بداخلِي؟

داخلِي حُروب تكادُ أن تخطفَ روحي
أنا تائهٌ بينَ ذاكَ الطريقِ و ذاكَ الطريق
بداخلِي لَحنٌ عزفهُ حَزِين
يُبكِ كُلَ مَن يسمعَ إليه
أنا غريقٌ ببحرِ الهُمومِ و الأحاسيس
بداخلِي ألم وطن مُحال أن يكونَ سَلِيم
أنا ضحيةُ الحُبُ الجَرِيح..
بداخلِي ألم فراقُ حبيب

دعوني مِن تلكَ الألاعيبِ و الأحادِيث
بداخلِي حطامٌ مَبنيّ قَدِيم
أنا محطمٌ مِن بينِ الجَميع
دَعوا دُموعي تكتبُ الكتابات و التعابير
واجعلوا الكلماتُ تصفُ ذلكَ الضَعيف
ما بداخلِي جرحٌ محالٌ أن يشفيهِ القريب أو الغَرِيب.

- يوسف أعلَمُ ما تَشعرُ بهِ, وكم أنتَ حَزِين, لكن أنتَ بنفسكَ قُلْتَها تريدُ أن تَرَاهَا, أدرُس وتخرَّج, رُبمَا تراهَا فأنتَ لا تدري ما تخبئهُ الأيامُ لكَ.

- حسناً.

- اليوم سأجعلُكَ ترتبُ أمورَكَ كي تبدأَ مِن جديد, و مِنَ الغَد سأبدأُ بالمتابعةِ مَعكَ أولاً في أول, كما قلتُ لكَ لم يتبقَى إلا شهرٌ واحد للامتحاناتِ اتفقنا؟

- اتفقنا.

استمرَ خالد متابعتهِ مَعي و لَم يتركنِي في موقفي هذا أبداً, فقَد كانَ يجلسُ مَعِي كُلَ يوم ويرَى مَاذا درستُ و كَم تَبقَى لِي, وكُل ما أحبطُ كانَ يُحفزنِي بـ «لولا» مِن جَدِيد, فقد كنتُ دائماً بحربِ بينَ استسلام و استِمرَار ولكن بالنهاية اخترتُ الاستِمرَار, وبالفعلِ تخرجتُ وحصلتُ على أعلى العَلامَات في الامتحاناتِ النهائية و عندَما حصلتُ على رسالةِ مِنَ الجامعة أنني حققتُ مُتطلباتُ التَخرج و سأتخرج هذا الفَصل..

اتصلَ بي خالد وقال:

-لقد بعثَت الجَامِعة رسالةٌ لكلِ مَن حققَ مُتطلباتِ التَخصص, أحققتَهَا؟

- نعم حَققتُهَا, أشكرَكَ جداً يا خالد على كلِ شيء فعلتَهُ لأجلِي.

شعرَ خالد بسعادةٍ كبيرة وقالَ لِي:

- ألم أقل لكَ أنكَ ستفعلُهَا, ها قَد فعلتُها يا صديقِي ولَم تكتمل الفرحَة بعد, لا تنسى حفلةُ تخرجِنَا الخميس القادِم, سنذهبُ بعدهَا للاحتفالِ وأخيراً انتهينَا مِن المَرحلَة الجَامعِية..

- لا لَم أنسى, لكن خالد لا أريدُ الذهابَ للاحتفالِ بعدَ حفلةَ التخرج اعذُرنِي.

- حسناً كَما تُريد, لن أضغطَ عليكَ, لكِن إن غيرتَ رأيكَ أخبرنِي, أراكَ الخميس إن شاءَ الله.

- حسناً, إن شاءَ الله.

وفي حفلةِ التَخرُج, ذهبتُ إلى غُرفَتِي كي أستَعِدَ للحفلة وعندَمَا انتَهيت وكانَ كُلُ شيءٍ جاهِز بقيتُ أنظرُ إلى نَفسِي في المرآةِ و تَخيَلتُ «لولا» واقفةٌ خَلفِي تَبتَسِم و تقولُ لِي لَقَد فَعلتَها يا حبيبي أخيراً أتى هذا اليَوم ..

وعندَمَا كنتُ أنظرُ للمرآة رأتني «نيرمين» أتَت وقالت:

- أخي لا أراكَ سَعيد! بالرغمِ مِن أنكَ يَجب أن تكونَ سَعيد في هذا اليَوم.

صمتُ قليلاً ثُمَ خانتنِي الذِكرياتُ والدُمُوع وبكيتُ بحضنِهَا كطفلٍ صغيرٍ و قلتُ لها:

- لم أنسَاهَا لَم أنسَاهَا لَم أستَطِع, بهذا اليوم يَجِب أن تَكون موجودَةٌ هُنَا بجانبِي, مَعَهَا كنتُ قَوِي والآن أنا ضعيفٌ يا أختي ضعيف, أنا مكسورٌ و ضائِع مِن دُونِها, أتعلَمِين يا أختي أنني أتخلُيها الآن تنظرُ إليّ مِن بينِ الناسِ مسرورةٌ بتخرجِي, وأرَى دُموعَ الفرحِ بعينيهَا أتخيلُهَا تنتظرنِي عندَ بابِ الجامعة أخرجُ مِنَ الحفلِ كي تَضُمَنِي ضمة فخرٍ وتقدِير لا أحد يعلمُ ما أشعرُ بهِ يا أختي لا أحد.. الفراقُ صَعب, يجعلكَ مسجوناً بالذكرياتِ اللحظاتُ, العباراتُ, الكلماتُ وكُلُ شيء كانَ بالنسبةِ لكَ جميل..

كم هو صعب أن يكونَ كل هذا مجردُ ماضِي وتريدهُ أن يكونَ الحَاضِر و المُستَقبَل, كُلُ ما أتمناهُ أن أراهَا و أسألهَا لِماذا تَركتنِي, ماذا فعلتُ لكي تفعلِي بي هكذا ماذا فَعلت؟ أنا أحبكِ جداً , صدقينِي أحبكِ جداً !

كنتِ حَبيبتِي وضوءَ قَمَرِي
مَن كَانَ يتوقع أن تَهجُرينِي
وتجعلينَ الوِحدَة مؤنِسَتِي و رَفيقَتِي
مَن كَانَ يَتَوَقَع أن تقتليني
وتصيبينَنِي بسهامِ الذكرياتِ والهُموم
بعدكِ تعلمتُ كيفَ هِي الدُمُوع
وكيفَ هِي الأشواقَ و السُطور
حتى حُزنِي نَطَقَتهُ الجُفُونَ و العُيون
بَلِغُوها .. بَلِغُوهَا
أنَنِي ضائعٌ بَعدُها ..!

كلمتُ الطيرَ و الرياح و البِحَار
بربكِ ألَم يصلُكِ ألمِي و حَنِينِي
بداخلِي برداً وناراً وحراً وشتاء
ورغمَ ذلكَ تركتني
حتى أنكِ لَم تَدعِينِي أودعُكِ
وأنتِ تدرينَ أنني بدونكِ طفلٌ صَغير
مَن غيري؟
يعلَمُ لونكِ وتفكيرِ عقلكِ
عطركِ وتسريحةُ شعركِ
ورغمَ ذلكِ تركتني؟
افعلي ما شئتي ..
ولكِن اعلمِي
أنَنِي أحببتُكِ جداً
يا ضوءَ قَمَرِي..

- أخي لِما تفعل كُل هذا بنفسكَ, إن كانَ لديكُم نَصِيب أن تَلتَقوا ستلتقوا ولَو بعدَ حِين أرجوكَ لا تفعل هذا بنفسكَ أنت تَضُرُ صِحتِكَ و نفسيتِكَ, عِش حياتُكَ فما زالَ لديكَ الكثير مِن الأمورِ لتفعلَهَا أعلَمُ أن ألمَ الفراق صعباً جداً, لكن حَاوِل أن تُعَوِدَ نفسكَ وتَعتَاد على عدمِ وجودِهَا وصَدِقنِي إن لَم تَلتَقُوا مَرةً أخرى سيعوضُكَ الله بشخصٍ أفضلَ مِنهَا بكثير والآن قُم بغسلِ وَجهِكَ مِنَ الدُموع و لنذهَب إلى الحَفلَة.

- حسناً يا أختي.

حاولتُ كثيراً و كثيراً
ولكنَ حبكِ مُحال أن يكونَ لديهِ بَدِيل
حاولتُ أن أكونَ بينَ الجَميع
ولكِن مِن دونَكِ
أشعرُ بوحدةٍ تقتلُنِي لآلافَ السِنِين ..
أتعلَمِين .. ؟

عِندَمَا أنظرُ لأيِّ فتاةٍ لا أرَى إلا وَجهُكِ الجَميل
حتى أنَنِي أكلِمُها
ولا أسمعُ إلا تَرانِيَم صَوتُكِ الرَقيق
ذكرياتُكِ تُحيطُ بقلبِي الحَزين
في كلِ نبضةِ دَمعةِ شوق
وصوتُ أنينٍ أليم
كُلُ يومٍ أنظرُ مِن نافذةِ غُرفَتِي
و أسألُ نَفسي .. إلى مَتَى؟
مَتى سيأتِي اليَوم ونَلتَقِي فيهِ مِن جديد ..
لقَد تعبتُ مِن دُونِهَا
وزرتُ كُل مَعالِم الأحزانِ بغيابِهَا
وغرقت في بحرِ الأشواقِ
أرجوكِ عُودِي إليَّ واقتَرِبِي
أنا مَن دُونِكِ لم أعُد أستَطِيع.

ذهبـتُ إلى الحفـلِ و احتفلـتُ مَـع أصدِقَـائِي و عندَمـا انتَهَـت الحَفلَـة رجعـتُ إلى المَنـزِلِ وخَلـدتُ إلى النـوم.

****

الفصل الخامس

وهل يعزِفُ اللحن؟

يا ليتَ اللحنُ يَعزِف
والمشاعرُ تَنبُض
يا ليتَ الأشواقُ تُقتَل
ومعابرُ الحُب تَلتَقِي.

بعدَ مرورِ سبعُ سنوات, أصبحتُ أعمَلُ بشركةِ أعمالٍ كبيرَة في بلدي و أصبحتُ ناجحاً و متفوقاً في عَمَلِي أتاني عرض عَمَل خارِجَ البِلاد و كان أفضَلَ بكثيرٍ مِنَ الذي كنتُ عليهِ , دَرستُ المَوضوع مِن جميعِ النواحي حتى وافقتُ عليهِ وبدأتُ أنَظِمَ أمورِي لأستَعدَ للسفر وقبلَ أن أسافِر بيوم ذَهبتُ إلى خالد لأودِعَهُ وأسلِم عليهِ ..

فتبادَلنا الحديث:

- يوسف, مرَّ سبعُ سنواتٍ على تَخرُجِنَا كم هي سريعةٌ الأيام, وغداً ستسافرَ وتترُكَنِي هُنا وحيداً , سأشتاقُ لكَ يا أعز صديق عِندي.

- بالفعل مَع مرورِ الوَقتِ تَتَسارَعُ الأيام شيئاً فشيء ولكن أتعلَم رَغمَ كُل تلكَ السنين لَم أنسَى «لولا» أبداً كُلُ يومٍ شوقِي يزدادُ لَهَا, لكِن الحمدُ للهِ على كُلِ حَال لا أستَطِيعُ أن أقولَ غيرُ ذلِك.

- أعلَم فأنتَ لَم تُحب أحداً مِثلَ «لولا», وكأنَهَا استوطَنَت قلبكَ, عقلكَ وكُل تفكيرُكَ, لا تَرَى إلا هِي في هذهِ الدُنيا, منتشياً في هَوَاهَا ومتيمٌ بخيالِها, ما يَهُم الآن هو أن تنتبه على عَمَلِكَ وعلى نَفسِكَ هُناك, و كُلُ التوفيق لكَ يا صديقي أتمَنَى أن تكون هذهِ الخُطوَة خُطوةُ خيرٍ في حياتِك.

- أنتَ بالفعل أخٌ أهدَتنِي إياهُ الأيام, سأشتاقُ لكَ كثيراً, ويَجِب أن تأتِ لزيارَتِي وسنبقَى على تواصلٍ إن شاءَ الله.

وفي يومِ السَفَر و قبلَ أن أذهبَ قبلتُ رأسُ أمي..

وقلتُ لَها:

- سأشتاق لكِ يا أغلى ما عندِي, لا تنسينِي من دُعائكِ, انتبهِي على نفسُكِ جيداً.

- «الله يرضى عليك» يا بني ويكتبُ لكَ كُل التَوفيقِ و النَجاح, سأشتاقُ لكَ كثيراً, أرجوكَ أخبِرنِي عندَما تَصِل.
- إن شاءَ الله, لا تَقلَقِلي سأخبرُكِ.

توجهتُ إلى المطار, صعدتُ بعدَها إلى الطائِرَة وعندَمَا وصلتُ أخبرتُ أمي أنني وصلت ثُمَ خلدتُ للنومِ استعداداً لمقابلةِ العمل غداً.

في اليومِ التالي ذَهبتُ إلى مُقابلةِ العَمَل, إلتقيتُ بصاحبِ الشركة و رَحبَ بي قائلاً:

- الحمدُ للهِ على سَلامتكَ, كيفَ كانَت رِحلتكَ؟

- شكراً لكَ, طويلةٌ بعضُ الشيء ولكن الحمدُ لله.

- الحمدُ لله, في الحَقيقة لقَد سألتُ عنكَ كثيراً والجميعُ مدحَ بـ تفوقِكَ و مَهارتُكَ بالعملِ في بَلدِك أتمنى أن تكونَ كذلكَ أيضاً هُنا.

- أتمنَى أن أكونَ عندَ حسنِ ظنكَ دائماً.

- نسيتُ أن أخبركَ أمراً مِن بدايةِ الأسبوعِ القَادِم ستستَلِم مكاني ابنتي لذلكَ سيكون كُل تعاملِكَ معها أي مُلاحظات و أيُ شيء تريدهُ تذهب إليها و تُخبرُها هَل لديكَ أيُّ مانِع؟

- حسناً إن شاءَ الله, لا ليسَ لدي أيُّ مانِع.

- جميل, والآن ما رأيكَ أن أريكَ جميعَ الأقسامِ في الشركة و أريكَ مكتبُكَ أيضاً.

-بالتأكيد هيّا بنا.

بعدَ أسبوع أتَت المُديرَة الجديدَة ذَهبتُ إلى مَكتبهَا لأستفسِرَ عن عمليةِ بيعٍ في الشَركَة استأذنتُ بالدخولِ وعندَما دخلت تفاجأتُ كثيراً و تسارَعَت نبضاتُ قلبي

إنها «لولا» !! كما هِي جميلة ..تسحرُ كُلَ مَن ينظرُ إليها وشعرُهَا الطويل الامِع, عيناها العسليتان, وعلاماتُ الرُقي والكبر واضحةٌ عليها, نظرنا إلى بعضنا وقلنا:

- لولا!

- يوسف!

- مرّ وقتٌ طويلٌ يا يوسف.

أجبتُها والحزنُ يتكلمُ معي:

- أجل يا «لولا» سبعُ سنواتٍ و ثمانيةُ أشهرٍ و أربعةُ عشرَ يومٍ وخمسُ ساعاتٍ و ستةٌ وثلاثونَ دقيقة.

قالت وعلاماتُ الشوقِ والحزنِ مَعَهَا:

- أنا آسفة! لا أدري ماذا أقولُ لكَ.

ثم بدأت تترددُ وتضطربُ في كَلامِها:

- كيفَ حالكَ, بالتأكيدِ أنتَ مُتزوج الآن ولديكَ أبناء.

أجبتُها وعلاماتُ الغضبِ والعتابِ واضحةٌ عليّ:

- متزوج! ولدي أبناء! أنا أحببتُ مرةً واحدة وحُرِمَ عليَّ قلبُ غيرها! لماذا فعلتي ذلك؟

أتعلمينَ كم مِتُ شوقاً بغيابكِ, كَم أصبحت حياتي صعبةٌ مِن دُونكِ, كل ثانية كنتُ أموتُ ألفَ مرة ولَم أكن أحصيهَا, لقد أتعبتيني يا لولا! أتعبتيني.
لَم أكن أتخيل أنني سأكونُ مِن دونكِ يوماً, في كلِ يومٍ كنتُ أواسِي نفسي وأقول لَعلها تعود, ستحنُ و ترجع لكن دونَ جَدوى, لِماذا؟ لِماذا؟

بَدأت الأشواقُ و الآلامُ تلحنُها الدُموع و تَعزِفُها ثُمَ بدأت «لولا» بالبكاءِ أيضاً وقالت:
- أنا لستُ كما تظُن يا يوسف, اضطررتُ أن أذهبَ و أتركَكَ, لقد أصبتُ بمرضٍ خطيرٍ وقالوا لي الأطباء يجب أن أذهبَ للعلاجِ خارجَ البلاد و لن يتبقى مِن حياتي إلا شَهر و أفارِقُها .. فقررتُ أن أتركَكَ خوفاً مِن أن لا ينجَحَ العِلاج و أفارقُ الحياة و أتركَكَ تتعذبُ طيلةَ حياتِك, ولا تظن أنني لم أتعذَب أبداً , لا!
لقد مرت أيامي صعبة لا يعلمُ بِها إلا الله, كانَ العلاجُ مُؤلم جداً يا يوسف ..

والأكثر مِن هذا فُراقِكَ الذي زادَنِي سَمٌ وآلام, و بالرغمِ مِن ذلكَ كنتُ دائماً أحاولُ أن أتمسكَ بالحياةِ مِن أجلكَ, دائماً كنتُ أقول مِن أجلكَ يا يوسف سأتحملُ و مِن أجلكَ سأتعالجُ, لكن تأخرَ علاجي ومضى كثيراً لذلك لم أحاوِل أن أتواصلَ معكَ مرةً أخرى, قلتُ لنفسي بالتأكيد مَضى في حياتِهِ و نسى أن كانَ بحياتهِ فتاةٌ اسمهَا «لولا».

أجبتُها بحرقةٍ وألم :

- لماذا لم تقولي لي؟ بهذهِ الحركة جعلتِ الأمورَ أسوءَ بكثير.

- لم يكن بيدي حيلة صَدِقنِي.

- كانَ يجب أن تقولي لِي, كي أقفَ بجانبكِ, وأكونُ سنداً لكِ.

زادَ بكاءَ «لولا» ألماً و ندماً وقالت:

- سامحنِي أرجوك.

- تعالي إلى هُنا.
أخذتُها إلى صَدرِي وبدأت دُموعِنَا تكتبُ الكَلِمات
ثم قالت بـ تمني :
- يوسف أما زلتَ تُحبني؟
أمسكتُ يدها بشدةٍ وقلتُ لها:
- أنظري إلى عينيّ, لا تلتفتي إلى أحد
وقولي لِي ماذا تَرِين , قالت:
- أرى بركانُ مشاعر ثائِر
تدفقُ نهرِ أحاسيسٍ جارٍ
أرى بحرُ أشواقِ هائِج
وكلماتُ حبٍ دافئ
أرى مواطنَ العشقِ الدَائِم
أرى نفسي ملكة إخترتُها ترسمُ ابتسامةً لشفتيكَ
ضَمَتنِي بشدةٍ , وقالت:
- أرجوكَ أعذُر جَهلِي
إن كانَ حُبكَ لغةٌ لتعلمتُهَا
وإن كانت طقوسٌ لقدَستُها ..

خُذني إلى عالمِكَ مرةً أخرى
لأتنغمَ بترانيمِ حُبكَ
وأمسِك يديَّ ولا تترُكهَا
اجعَلني بأحضانِكَ دائماً
أريدُ أن أحيا هناك.

- مشتاقةٌ لكَ يا يوسف, مشتاقةٌ لرائحةِ عِطركَ, لابتسامتِكَ, حنانُكَ , واهتمامُكَ.

سألتُها بـ تمني شديد:

- دعينَا ننسى الماضي ونبدأ مِن جديد, ما رأيكِ؟ صَدقينِي لا أريدُ أن أكونَ إلا معكِ..

- أنا أيضاً مشتاقٌ لكِ, ولم أنساكِ يوماً, أرجوكِ لقد سئمتُ الحياةَ بعدكِ.

أرجوكِ أعذري شوقِي بينَ الكلِمَات
وصوتُ الأنينِ الذي يتدفقُ بينَ العِبارَات
القلبُ يُناجِي
والروحُ تُنادِي ..

اجعَلِي اللقاء لا الفُرَاق
فإنَ الفراقُ داءٌ للعشاق
لا تكونِي إلا شِفَاء
وتأملِي في عينيَّ
وانظُرِي إلى مواطنِ الحُبِ و الحَنَان
إنَ الهَوى بكِ ينطُق
والقلمُ عنكِ يكتُب
والسطورُ لكِ تَوصِف
عودِي إليّ و اقتربي
لنجعلَ مِن قصةِ حُبِنَا حكاية.

أجابتنِي بفرحٍ وتأكيد:
- حسناً يا يوسف لنحيي قصةُ حبِنَا مِن جديد.

وعُدنا أخيراً أنا و «لولا» بعدَ فراقٍ دامَ سبعُ سنين, عُدنا كَما كُنا وأكثَر و ازدادَ الحُبُ أكثر, وبعدَ شهرٍ قررتُ أن أطلبَ يَدِهَا.

حانَ الوَقتُ لنكملَ قصةُ الحُبِ و نبني أسرةً جميلة وأبدية , اتصلتُ بـ نيرمين وقلتُ لها بفرح:

- أختي لقد حانَ الوقت لأكملَ حياتي, قررتُ أن أتزوج أريدُكِ أن تأتِ أنتِ وأمي لنطلبَ يَدِهَا
ولكن أريدُ أن أسألهَا أولاً اتفقنَا؟

أجابت نيرمين بتعجب:

- مَن هي؟ ما الذي يَحصُل؟

- ومَن غيرها «لولا» لقد عُدنا, سأخبركِ بكلِ شيء التقيتُ بها عندَ ...

أجابَت بسرورٍ شديد:

- ألم أقل لكَ إن كانَ لكم نصيباً ستلتقوا والحمدُ لله كتبَ اللهُ اللقاءَ مرةً أخرى وأتمنى مِنَ الله أن يختارَ لكم الخيرُ و كُلُ التوفيق.

- شُكراً يا أختي, سأتصلُ بكِ قريباً انتظري اتصالي.

اتصلتُ بـ لولا وأخبرتُها أنني أريدُ أن أراهَا بعدَ ساعةٍ في مطعمٍ قريبٍ مِنَ المنطقة التي أسكنُ عندَها.

و حين إلتقينَا و جلسنَا سوياً تبادلنَا الحديث وتحدثنَا في كثيرٍ مِنَ الأمور و بعدَ ذلك قلتُ لنفسي آنَ الأوان أن أخبرُها:

- لولا أريدُ أن أسألكِ سُؤال؟

- أكيد تفضَل.

- حبيبتي لقَد ضاعَ الكثيرُ مِنَ الوقتِ و الحمدُ للهِ أعادنَا اللهُ لبعضنَا, لذلك أريدُ أن أبقى بجانبكِ لآخرِ يومٍ بعمري, أريدُ أن أستيقظَ كُلَ يومٍ و أرى وجهكِ الجميل, أريدُ أن أكونَ مَعكِ في كُلِ لَحظةٍ وفي كُلِ مَكَان .. لولا أتقبلينَ الزواجَ بي؟

أجابَت «لولا» بفرح ودُموع:

- أحقاً تتكلم! أتريدُ أن أكونَ زوجتُك! نعم أوافِق نعم.

- مَن غيركِ يستحِق أن يكونَ بحياتي؟

- أحبُكَ جداً حبيبي.

- وأنا أيضاً, سأتكلمُ مَع أمي وأنتِ تكلمي مع أبيكِ كي نأتِ ونطلُبَ يدكِ.

- حسناً حبيبي.

أخبرَت «لولا» أبيها و اتفقنَا على موعد, اتصلتُ بأمي وأخبرتُها أن تأتِ كي نَطلبُها وعندما أتَت أمي ذَهبنَا إلى منزلِ «لولا» و طلبنَا يَدُها واتفقنَا على موعدِ العُرسِ وكُلِ شيء.

في يوم العرسِ استعديتُ جيداً وكنتُ سعيداً لدرجةِ أنني كنتُ أريدُ أن أطيرَ بينَ الجَميع وأصرخُ بأعلى صوت أنا سعيييد, أخيراً جاءَ اللقاء وتلاقَت الأرواح بعدَ رحلةٍ طويلة مليئَة بالصعوباتِ والتحديات..

كنتُ كاتب لـ لولا قصيدة سألقِيهَا بينَ الجميع في الحفلَة وعندَمَا وصلنَا القَاعَة و بدأَت الحفلَة, أمسكتُ الميكرفون وقلت:

- مرحبا للجميع أشكركُم على حُضُورِكُم, «لولا» حُب عمري أعدَدتُ لكِ مفاجأةٌ صغيرَة لقد كتبتُ لكِ قصيدة أريدُ أن ألقيهَا هُنا أمامَ الجميع أتمنَى أن تنالَ إعجابِك.

سيدَتِي ومَن غيرُكِ تستحقَ أن تكونَ سيدتِي
عيناكِ عالمٌ مُستقِل
برودةُ الشتاءِ
وحرُّ الصَيف
وقلبكِ الأبيض يا سَيدَتِي
سَحَرَ القلوب
و جمالٌ للحياة
أنتِ مَملَكَتِي الخَاصَة
وقمرٌ ينيرُ سمواتُ قلبي ..

سيدتي أحبُكِ جداً
ومَن غيرُكِ تستحق أن تكون.
****

دَمعَت عيناها كـ دموعِ الطفلِ البريء ثُمَ أتَت إليَّ وبدأنَا بالرقصِ و قالت:

- بطلِي الحبيب كم أحبُكَ, أخيراً فعلنَاهَا و أصبحنا زوجين, أعدُكَ أنني سأبقَى أحبُكَ حتى آخرَ يومٍ في حياتي.

- نعم حبيبتي أخيراً فَعلنَاهَا, كَم أنا محظوظٌ بكِ يا ملاكي أحبُكِ جداً, وأعدُكِ أنني سأحافظُ عليكِ وأكونُ سنداً لكِ دائماً.

يا فاتنةَ العينَين
اهديني بعضاً مِنَ الجُنون
اروي قلبي بكلماتِ العشقِ و الهَوى
يا ساحرةَ القلوبِ ومعجزةٌ للشعر ..

أما زلتِ لا تعلَمِي أن العالم لكِ انطوَى
والحُبُ بكِ اكتفى
حبيبتي
دعيني أسكُنُ حقولكِ
وأعبرُ صفحاتُ قلبكِ
ونكونُ تاريخُ المَجد
حين أكونُ قربكِ
أشعرُ بأني طيرٌ حرٌّ طليق
يرفرِفُ بجناحيهِ بأعالِي سماءِ الرَبيع
وأشعرُ أنني سيدٌ بينَ الجَمِيع
أمشي متباهياً, مُتفاخِراً
لا أهابُ الطريق
حبيبي وكم أهوى قَولِها
أريدُ أن أقِفَ بينَ العَالَم
وأصرخُ بأعلى صوت
أحبُكِ أحبُكِ أحبُكِ
أنتِ مَن أموتُ وأحيى بِهَا.

الحـبُ رحلـةً طويلـة تأخـذُكَ إلى أماكِـن و مَنَاطِـق رُبمـا لا تريـدُ الذَهَـابَ إليهـا, لكـن أن تمسـكتَ بمَـن تُحـب وحاربـتَ كُلَ الصُعوبـات التـي يُمكـن أن تحصـلَ لـك, سـتصنعَ قصـةُ حـبٍ خاصـةً بـكَ تتذكرُهـا لآلافِ السـنين السـفرُ إلى عـالمِ حـبٍ جميـل كلـه مُغامـرات وأحاسـيس, هيّـا احملـوا حقائِبَكُـم وأمتِعَتِكُـم واصنعـوا قصـةَ حُبكُـم ولا تجعلـوا أحـداً يقـفَ بطريقكُـم, فـلا مَـكان للجبنـاءِ في عالَـمِ الحُـب.

****

النهاية.

للتواصل مع الكاتب

Snapchat : ahmad.alsheikh6
Instagram : ahmad.alshiekh
Facebook : ahmad al-shiekh
Email : ahmad.alsheikh98@hotmail.com